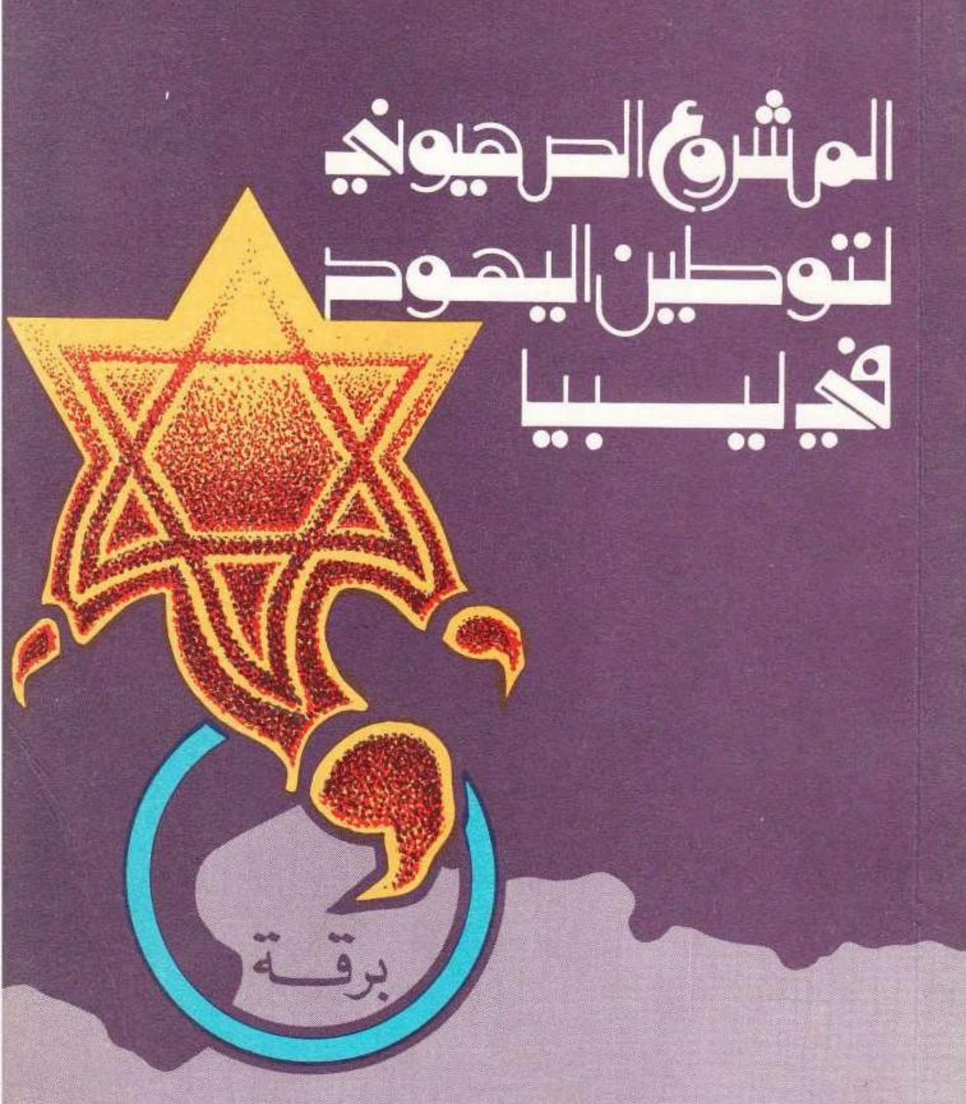
مصطفى عبدالله بعيو

المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا



٧٥٠ د.ل

الدار العربية للكتاب

المشروع الصهيوني

لتوطين اليهود في ليبيا

تأليف

مصطفى عبدالله بعيو

الدار العربية للكتاب

ليبيا - تونس

للمــــؤلـف

- **المجمل فى تاريخ لوبيا منذ اقـدم العصــور حتى الـوقت الحاضر** ، الاسكندرية 1947 ·
- **بيانات فى التاريخ اللوبى** ، الاسكندرية 1953 ·
- **بعض الملامح التاريخية عن ليبيا** ، بنغازى 1965 ·
- **المختار فى مراجع تاريخ ليبيا** ، الجزء الأول ، بيروت 1967 ·
- **المختار فى مراجع تاريخ ليبيا** ، الجزء الثانى ، بيروت 1972 ·
- **المختار في مراجع تاريخ ليبيا** ، الجزء الثالث (تحت الطبع) تونس 1975 ·

ليبيـا ـ تـونس ـ 1395 / 1975

بسم الله الرحمن الرحيم

فاسألوا أهل الذكر
إن كنتم لا تعلمون

قرآن كريم

الاهداء

إلى فلسطين الحبيبة
والمخلصين من ابنائها
المجاهدين .

المؤلف

فهرس الكتاب

مقـدمة

حدث عندما كنت فى باريس فى مارس سنة 1956 وأنا أتردد على بعض مكتباتها ودور الكتب فيها أن لفت نظرى أحد الكتب التاريخية المعروضة فى واجهة محل لبيع الكتب • وقد دفعنى حب الاستطلاع إلى تصفح هذا الكتاب ومعرفة موضوعاته لا سيما وأن عنوان الكتاب والطريقة التى كتب بها على غلافه يثيران افكارا كثيرة • كان هذا الكتاب للاستاذ اندريه شوراكي وعنوانه « الاتجاه نحو الغرب » • وقد كتبت هذه العبارة بالحروف اللاتينية الحمراء بطريقة تسترعى الانتباه • ويلى ذلك الجزء الثانى من عنوان الكتاب وهو « يهود شمالى افريقية » (1) • وقد تم نشر الكتاب بالاتفاق مع « الاتحاد الاسرائيلى العالمى » الذى أسس فى 1860 م•

والكتاب وان كان دراسة اجتماعية وتاريخية لاحوال اليهود فى كل من مراكش والجزائر وتونس بصفة خاصة إلا أنه قد تعرض بصفة عامة لاحوال اليهود فى ليبيا كجزء من الشمال الافريقى • وبتصفح الكتاب يخرج القارىء بفكرة واضحة عن هدف هذا المؤلف والغرض من كتابه وهو التعريف بيهود الشمال الافريقى وتوجيه انظار العالم اليهم للاهتمام بأحوالهم • ويكاد لا تخلو أى دراسة عن يهود الشمال الافريقى صدرت بعد صدور هذا الكتاب من الاشارة اليه • واذا رجعنا الى المحاضرات التى ألقاها الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة عن (يهود المغرب العربى) (2) فى معهد

(1) André Chouraqui, **Marche vers l'Occident. Les juifs d'Afrique du Nord**, Paris Presses Universitaires De France, 108, Boulevard Saint-Germain, 1952, 398 pp.

(2) محمد الحبيب بن الخوجة . **يهود المغرب العربى** . القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية . قسم البحوث والدراسات الفلسطينية . 1973 . 211 ص .

البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة نجده قد اعتمد اعتمادا كبيرا على هذا الكتاب في اعداد محاضراته ٠

بعد ذلك تركت باريس في طريقي الى مدينة نيويورك مارا بلندن وأنا أحمل في ذهني فكرة ضرورة اعطاء بعض الاهتمام لدراسة تاريخ الاقلية اليهودية في ليبيا ومعرفة أصولها ومواقفها من الاحداث التاريخية التي نسجت التاريخ الليبي حتى اذا التحقت بجامعة كولومبيا بمدينة نيويورك لمواصلة دراستي التاريخية العليا هالني العدد الكبير من الموضوعات التاريخية التي كان يقدمها قسم التاريخ بكلية العلوم السياسية لطلبة الدراسات العليا وكلها تدور حول تاريخ اليهود وآدابهم اذ بلغ عدد الموضوعات المعطاة في هذا الخصوص ثلاثة عشر موضوعا (3) من مجموع الموضوعات التاريخية التي يتم من بينها الاختيار ٠ ولم يكن هناك أي موضوع يتعلق بتاريخ العرب والاسلام باستثناء موضوع

(3) كانت الموضوعات اليهودية المعطاة حسب دليل كليات الدراسات العليا بجامعة كلومبيا في الفترة فيما بين 1956 و1958 كالآتي :

1 — **Colloquium in ancient history ; Hellenization in Judaism** : Professor Bickerman.
2 — **Social and economic history of ancient Israel** : Professor Baron.
3 — **Medieval Jewish history and Literature** : Professor Baron.
4 — **Jews under Islam** : Professor Baron.
5 — **Jews in Eastern Europe to the partition of Poland**: Dr. Friedman.
6 — **Modern Jewish history and literature** : Professor Baron.
7 — **Economic and Social history of the jews, 1789-1814** : Dr. Friedman.
8 — **Jewish history, methods and literature** : Professor Baron.
9 — **European Jewish migration in the Western Hemisphere and Palestine** : Dr. Friedman.
10 — **Social and political history of the jews during the 19th century** : Professor Baron.
11 — **Jews in Europe Since 1914** : Dr. Friedman.
12 — **Jews in America** : Professor Baron.
13 — **Seminar in Jewish history** : Professor Baron.

واحد كان يتعلق بتاريخ الاسلام فى شبه القارة الهنـدية ٠ وكان يقوم باعطائه الاستاذ قريشـى المؤرخ الباكستانى المعـار لجامعة كولومبيا لسنوات محدودة من جامعة كراتشـى بعد أن كان أول وزير للمعـارف عند تأسيس دولـة البـاكستان ٠ وكان وضع قسم التاريخ هو الحالة السائدة فى بقية اقسـام العلوم الانسانية الاخرى التى كانت تقوم باعطائهـا جـامعة كولومبيا ٠ وعندما ناقشت ما لاحظته على الدراسة فى قسم التاريخ مع الاستاذ الذى كان يشرف على دراستى لم يصدق إلا بعد أن احضرت إليه دليل الدراسة بالجامعة واحصيت معه الموضوعات التى كان يقدمها قسم التاريخ لطلبـة الدراسات العليـا ٠ وحاول الاستاذ المشرف ان يجد لى تعليـلا لطغيـان الدراسات اليهودية على بقية الجـوانب الاخـرى باستعـداد اليهود المالى للتبرع للجامعات الامريكية لاعطاء دراسات معينة لاحياء التراث اليهودى ٠ وبهذه الطريقة ضمـن الصهـاينة جانبا هاما من جامعات امريكا ونشاطها العلمى ٠ كل هذا الى جانب الجامعـات اليهـودية والكليـات الخـاصة بالـدراسات اليهودية التى تتعهدها الجمعيات اليهودية الخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية ٠ واقتنع معى الاستاذ المشرف بأن الوضع غير عادل بالنسبة للدراسات العـربية والاسـلامية ٠ وكان النزاع العربى الاسرائيلى على اشده فى خريف 1956 على أثـر العدوان الثلاثى على مصر ٠

ولما بدأت الـدراسة فى خـريف 1956 اختـرت موضـوع « اليهـود فى ظل الحكـم الاسـلامى » JEWS UNDER ISLAM من بين الموضوعات التاريخية التى كان عـلى ان اختارهـا ٠ وكان استاذ هذه المـادة هـو الدكتـور صـالـو و. بـارون SALO W. BARON وهو مؤرخ يهودى متمكـن من مـادته لـه دراساته الكثيرة فى ميدان تخصصه ٠ والحـق يقـال انـى استفدت كثيرا بدراستى لهذا الموضوع اذ عـرفت الطـريقة التى يفهم بها بعض علماء اليهود الدراسات الاسلامية وكيف ينقلونها الى طلاب المعرفة بعـد أن يصوروها التصوير الذى

يتمشى وفلسفتهم الخاصة • ولهذا أرى من الضرورى الا يلتحق بهذا النوع من الدراسة الا من أعد نفسه واحاطها بالتحصين الكافى من حيث الاطلاع وغربلة الآراء المقدمة اليه بطريقة لا تثير الغضب أو الحقد • وعليه أن يقبل الاعتراف بخطأ بعض الآراء التاريخية فى الوقت الذى يقبل فيه صحة بعضها الآخر ما دامت كلها من صنع البشر وما دامت القضايا المعروضة للنقد لا تمس الاسس الاصلية للعقيدة • وخلاصة القول إن هذا النوع من الدراسة يحتاج الى استعداد علمى ونضوج فى السن والعقل مع ضبط للاعصاب وتحكم فى الميول النفسية •

كانت هذه الدراسة فرصة طيبة لفهم الكثير من احداث العالم الاسلامى خصوصا فى بلاد الشرق الاوسط والدور الذى لعبه اليهود فى تاريخ هذه المنطقة وفى تاريخ الدولة العثمانية التى عرفت بتسامحها مع اليهود واحتضانهم عندما حلت باليهود نكبات التعذيب ومحاكم التفتيش فى اسبانيا على أثر زوال الحكم الاسلامى فى الاندلس بسقوط غرناطة كآخر إمارة اسلامية فى 1492 م • واستطعت الوصول الى حقائق كثيرة وهامة عن تاريخ اليهود فى ليبيا عندما كلفنى الاستاذ بارون باعداد بحث خاص عن هذا الموضوع • وقد أرشدنى الى بعض المراجع اللازمة لمثل هذا النوع من الدراسة • وفى اثناء البحث اهتديت الى تقرير بعثة « منظمة الاراضى اليهودية » JEWISH TERRITORIAL ORGANIZATION الى برقة لدراسة امكانياتها المتوفرة لانشاء وطن قومى لليهود فى برقة • وقد اخرجت هذه المنظمة تقرير البعثة الموفدة فى كتاب أزرق لها فى 1909 • وقد اهتديت الى هذا التقرير فى المكتبة العامة لمدينة نيويورك THE PUBLIC LIBRARY OF NEW YORK والتى تعتبر احدى مفاخر هذه المدينة الكبيرة بما تضمه من كنوز علمية وتقدمه من تسهيلات • وعبثا حاولت استعارته مرة أخرى رغم كثرة ترددى على المكتبة • وعبثا ايضا حاولت اقتناء نسخة من هذا

التقرير رغم ترددى على الكثير من دور بيع الكتب بمدينة نيويورك وغيرها ومراسلتى للمكتبات فى مختلف المدن الامريكية والاوربية .

وبعد العودة الى ليبيا وبحكم عملى بكلية الآداب فى بنغازى اهتديت الى نسخة من هذا التقرير فى مكتبة متحف الآثار بشحات قبل نقلها فيما بعد الى مدينة البيضاء . وعكفت على دراسة هذه النسخة لاعداد محاضرة عامة عن مشروع الوطن القومى لليهود فى برقة ضمن سلسلة المحاضرات التى اعدتها الجامعة للموسم الثقافى فى العام الدراسى 1958 ـ 1959 . وقد حاولت فى هذه المحاضرة أن الفت الانتباه الى أهمية الخطر الصهيونى بالنسبة لليبيا واحتمال تجدده .

وفى خريف 1965 سمحت لى الظروف أن أكون فى مدينة واشنطون وفى مكتبة الكونجرس بالذات . وعبثا حاولت استعارة هذا التقرير وتصويره لعدم العثور عليه كما ادعى الموظف المختص . ولكن بفضل جهود أحد الاصدقاء تحصلت على صورة منه وهى التى اعتمدت عليها فى اخراج هذه الدراسة بشكلها النهائى .

واذا كانت الحركة الصهيونية قد حاولت أن تتخذ من برقة ومن الجبل الاخضر بالذات مشروعا للوطن القومى لليهود فى أوائل القرن العشرين فان محاولتها هذه قد انتهت بالفشل. ولكن هذه المحاولة تجددت فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ولم تكن فى هذه المرة قاصرة على الجبل الاخضر فقط بل شملت ليبيا بأجمعها . ولكن الله أنقذ البلاد من الشر الذى كان يبيت لها . وقد حاولت فى الصفحات التالية تتبع هذه المحاولة الصهيونية والقاء الضوء عليها حتى يكون الجميع على بينة مما كان يخطط للبلاد وحتى نحتاط لانفسنا ولابنائنا من بعدنا . وقد حرصت على تزويد هذا البحث بالوثائق المدعمة حتى تكون هذه الوثائق منطلقا لجهود الآخرين فى سبيل خدمة الحقيقة التاريخية .

بقى على أن أسجل شكرى لأولئك الذين ساعدونى فى اخراج هذه الدراسة سواء بالحصول على نسخة مصورة من التقرير الذى وضعته بعثة منظمة الاراضى اليهودية الى الجبل الاخضر او بالاستفادة من بعض المصادر الايطالية التى اهتمت بهذا التقرير · وقد قام صديقى الاستاذ خليفة محمد التليسى بمعاونتى فى الاستفادة من بعض المصادر الايطالية · أما الحاج عبد السلام أدهم والحاج محمد الاسطى الموظفان بدار المحفوظات التاريخية فلهما منى الشكر على ما يقدمانه من معونة صادقة لكل من يقصد الاستفادة من وثائق المحفوظات بالارشاد اليها وتقديم الترجمة العربية الممكنة ·

وأخيرا هذا ما أمكن الوصول اليه من حقائق فى هذه الدراسة · وكلى أمل أن تكون بداية قابلة للامعان والاهتمام فى سبيل الوصول الى المزيد من المعرفة · والله اسأل التوفيق للجميع ·

المؤلف

طرابلس 14/شوال/1394

ليبيا 29/أكتوبر/1974

توطين بعض الجماعات العثمانية في ليبيا

شاهدت ليبيا فى نهاية القرن التاسع عشر وفي النصف الاول من القرن العشرين عدة محاولات لاتخاذها وطنا قوميا لعدة جماعات من الخارج ٠ وكان أهم هذه المحاولات وأخطرها ما حاوله انصار الصهيونية العالمية من جهود فى سبيل توطين يهود العالم فى ليبيا وبالتالى اتخاذها وطنا قوميا لهم ٠ وكان من اخطر هذه المحاولات ايضا العدوان الايطالى الذى قامت به ايطاليا على البلاد في اكتوبر سنة 1911 بعد أن مهدت له واستعدت لتنفيذه ٠ وقد اقترن الغزو الايطالى بأعمال وحشية لابادة أهل البلاد فى سبيل اعداد ليبيا لاستقبال المعمرين الايطاليين الذين شجعتهم ايطاليا على الهجرة الى ليبيا والاستيطان بها وخاصة فى الثلاثينات عندما أصبح بالبو واليا للبلاد ٠ لقد وضع بالبو سياسة مرسومة لتوطين الآلاف من العائلات الايطالية فى ليبيا ٠ وأعتبرت ايطاليا ليبيا جزءا من الوطن الايطالى الكبير ٠ ولكن قدر للمشروع الايطالى أن يفشل بسبب قيام الحرب العالمية الثانية واشتراك ايطاليا فيها الى جانب الالمان ٠ وقد مات المخطط الاول لهذه السياسة الاستعمارية في بداية الحرب التى انتهت بهزيمة ايطاليا وفقدانها لمستعمراتها ٠ و جاء استقلال ليبيا فوضع حدا للمشروع الايطالى حتى اذا قامت ثورة سبتمبر سنة 1969 اجبرت بقايا الايطاليين الفاشست على ترك البلاد فى 1970 وأصبح يوم 7 أكتوبر عيدا وطنيا بخروج آخر المعتدين الايطاليين ٠

وقد سبقت المحاولة الصهيونية والمحاولة الايطالية بعض المحاولات الاخرى التى قامت بها الدولة العثمانية فى سبيل توطين بعض رعاياها بشكل جماعى في بعض المناطق الليبية التى اختارتها لتنفيذ سياسة التوطين ٠ ولكن يجب علينا أن نفرق بين المحاولات العثمانية وبين المحاولة الصهيونية والمحاولة الايطالية ٠

فالمحاولات العثمانية كانت مقيدة ومحدودة ولم تهدف الى فرض عناصر لا تنتمى الى الدولة العثمانية · والمعروف أن الانتقال بين رعايا الدولة العثمانية لم يكن مقيدا أو محدودا ضمن الامبراطورية العثمانية · وكانت حرية التنقل والاقامة مكفولة لرعاياها فى البلاد العثمانية · والمحاولات العثمانية لم تفرض عناصر من خارج الدولة التركية · ومن هنا لم تجد السلطات العثمانية معارضة من أهل البلاد للمحاولات التى بذلتها بل كانت تجد ترحيبا وتشجيعا فى المحاولة التى بذلتها السلطات العثمانية عندما قامت بتوطين بعض مسلمى كريت فى مدن برقة بحكم الرابطة الاسلامية التى كانت تربط بين ابناء الدولة العثمانية التى حاولت حماية مسلمى جزيرة كريت من المذابح التى تعرضوا لها فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ·

كان أول هذه المشروعات الاستيطانية التى قامت بها الدولة العثمانية فى ليبيا هو توطين بعض قبائل الاكراد فى بعض المناطق الليبية · لقد حاولت السلطات العثمانية أن تجد حلا للمتاعب التى كانت تسببها لها القبائل الكردية بنقلها من وطنها الاصلى الى جهات أخرى · وكانت ليبيا من بين الاماكن التى وقع عليها الاختيار لتوطين بعض القبائل الكردية · وكان ذلك عندما قامت قبيلة الهيماوند الكردية فى أواخر القرن التاسع عشر بتمردها على السلطات العثمانية الحاكمة وبالاغارة على القبائل المجاورة · وكانت قبيلة الهيماوند من أكبر القبائل الكردية التى كانت تعيش حول بلدة السليمانية فى شمالى العراق · وقابلت السلطات العثمانية هذه الحركة التمردية التى قامت بها قبيلة الهيماوند بارسال قوة عسكرية لاخمادها · وتبعتها فى 1305 هـ (1890 م) باختيار بعض الاكراد الذين سبق للسلطات العثمانية أن رحلتهم الى منطقة أزمير على ساحل الأناضول المطل على البحر الابيض المتوسط وأرسلت بهم الى مدينة بنغازى لتوطينهم فى الجبل الاخضر · وأرسلت جماعة أخرى من الاكراد الى مدينة طرابلس · وقد حاولت هذه الجماعة الاخيرة الانضمام الى الجماعات التى انتقلت الى بنغازى للعيش معها فى الجبل الاخضر · ولكنها لم

توفق في مسعاها ٠

كان مجيء جماعات الاكراد الى ليبيا في عهد ولاية أحمــد راســم باشا الذى استمر يحكم البلاد مدة طويلة بالنسبة لبقيــة زمــلائه الآخرين (I) 1299 ـ 1314 هـ (1882 ـ 1896) ٠ ويبـدو أن هذا الوالى أراد أن يساعد حكومته فى ايجاد حل لمشكلة الاكراد وما قد سببوه لها من قلاقل ومتاعب فكتب الى حكـومته فى اسطنبـول يقترح عليها توطين اعداد من العائلات الكردية يتراوح عددها فيما بين المائة عائلة والمائتين على أن تقوم الحكومة العثمانية بتقديم مـا يلزم لهذه العائلات من مؤن مع توفير البذور اللازمة لها للزراعة فى السنة الاولى على الاقل من مجيئها ٠

وافقت الحكومة العثمانية على الاقتراحات التى تقدم بها أحمــد راسم باشا ٠ وقامت بارسال بعض الاســر الكــردية من قبيلــة الهيماوند الى مدينة طرابلــس ؛ ولكن حــدث بعد ان وصلت الاســر الكردية الى مدينة طرابلس أن رفضت ما عرضته عليهـا حكـومة الولايــة بخصــوص توطينهــا فى منطقــة سرت على أن تقوم بفلاحة الارض هناك وزراعتها ٠ وقد تعهدت حكومة الولاية بتقـديم كل ما يلزم من بذور بعد ان صرفت لها الاموال اللازمة لتسهيل فرصــة الحياة الجديدة أمامها ٠ خصصت حكومة الولاية ستيــن بــارة (2) لكل فرد من افراد الاسر الكردية المهجرة ٠ ولكن الاكراد الوافدين لم يقبلوا هذه التسهيلات التى قدمتهــا لهم حكومة الولاية وفضلــوا العودة الى بلادهم باصرار مما اضطر الوالى التركــي أن يكتب الى حكومته في اسطنبول ليخبرها بفشل كل المحاولات التى بذلتهــا حكومة الولاية لاقناع الاكراد الوافدين بقبول الحياة الجديدة ٠ وقد علل الوالــي عدم نجاح خطة توطيــن الاكـــراد فى منطقة ســـرت

(I) احمد صدقي الدجاني ، **ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي او طرابلس الغرب فى آخر العهد العثماني الثاني (1882 ـ 1911)** . المطبعــة الفنيــة الحديثة . 20 شارع الاصبغ بالزيتون . القاهرة 1971 . ص 60

(2) أى ما يعادل قرش صاغ ونصف تركي لأن القرش الصاغ يساوى اربعين بــارة حسب ما جاء فى كتاب كاكيا

Anthony J. Cachia, Libya Under The Second Ottoman Occupation 1835-1911 ; Tripoli 1945. P. 195.

وفشل كل المساعي التي بذلت معهم لان جماعات الاكـراد الذين جاءوا بها الى سرت لم تكن من الفلاحين الذين يعتمدون على الزراعة في حياتهم العامة وهي التي تعودت على التنقل والرحيل وما يصاحب هذه الحياة من مظاهر اجتماعية خاصة اشتهرت بها القبائل التي احترفت التنقل والغزو وعدم الارتباط المطلق بالارض المحدودة المعالم ·

حاول أحمد راسم باشا أن يجد حلا لمشكلة هؤلاء الاكراد بعد أن رفضوا قبول المشروع الزراعي لاستيطانهم في سرت فسعى الوالي في إلحاق العزاب منهم بالقوات العسكرية النظامية العاملة في البلاد وفي القوات البحرية التي كانت تحتاجها السفن الحربية العثمانية في الموانى الليبية · والحق الوالي بعض هؤلاء الاكراد بقوة الحراسة والامن في البلاد ·

ولكن الاكراد الوافدين ظلوا لم ينسوا وطنهم الاصلي وزاد الحنين بهم الى بلادهم · وقد طالت غربتهم الشيء الذي دفع بعضهم الى محاولة الهروب · وقام فعلا بعضهم بمحاولة ترك البلاد بالاتجاه الى الشرق · ولكن سلطات الولاية تتبعتهم واستطاعت قواتها من الضبطية القول أوغلية أن تلحق بهم وأن تتبادل معهم اطلاق النار وان تجبرهم على العودة بعد ان تم قتل زعيم الاكراد الفارين · واذا كانت محاولات الاكراد في العودة الى بلادهم لم تنجح فانهم لم يستسلموا ويرضوا بالامر الواقع بل ظلوا على اصرارهم حتى اضطر أحمد راسم باشا في 1893 أن يحصل على موافقة الحكومة العثمانية على عودة هؤلاء الاكراد الى أزمير · وقد صادف وقت وصولهم اليها أن كان وباء الكوليرا قد اكتسح المنطقة وأنزل بأهلها الخسائر الكبيرة في الارواح ·

ولا شك أن فشل مشروع توطين بعض الاكراد في ليبيا يرجع في المقام الاول الى حب الاكراد لوطنهم الاصلي واستمساكهم به · وقد فشلت جميع المحاولات التي بذلت في هذا الخصوص لكسر حدة القبائل الكردية · ولم تكن المحاولة التي قامت بها الدولة العثمانية في عهد ولاية أحمد راسم باشا بخصوص تهجير بعض القبائل الكردية الاولى أو الاخيرة من نوعها في سبيل كسر شوكة

هذه القبائل التى اعتادت التمرد على السلطة حفاظا على ذاتيتها من التلاشي أو الذوبان . ويجب الا ننسى أن هناك عوامل أخرى ساعدت على فشل هذه المحاولة . وكان فى مقدمة هذه العوامل أن منطقة سرت التي اختيرت لتوطينهم معروفة بأنها منطقة سهلة صحراوية قريبة من البحر . وقد تعود الاكراد على حياة الجبال بما فيها من أودية واحراش . واذا كانت محاولة توطين بعض الاكراد فى منطقة سرت قد فشلت فان محاولة توطينهم فى منطقة الجبل الاخضر (3) ببرقة لم تنجح هي الاخرى مع أن طبيعة منطقة الجبل الاخضر أقرب ما تكون الى طبيعة منطقة الاكراد الجبلية فى تركيا . ان كل المحاولات التى بذلتها تركيا بخصوص تهجير القبائل الكردية حتى فى داخل تركيا نفسها لم تنجح أمام إصرار الاكراد وعنادهم وما عرفوا به من حب لاوطانهم الى درجة الاستماتة فى مقاومة السلطات العثمانية وغيرها أمام أى محاولة تعمل للقضاء على شوكتهم .

وهناك فى دار المحفوظات التاريخية التابعة للادارة العامة للآثار بمدينة طرابلس وثيقة باللغة التركية (4) تتناول موضوع قلاقل قبيلة الهيماوند الكردية ومحاولة توطينها فى ليبيا . وقام بترجمة هذه الوثيقة التركية الى اللغة العربية الحاج عبد السلام أدهم الموظف بالدار . وقد اعتمدت على الترجمة العربية لهذه الوثيقة فى الاستفادة منها فى الحديث عن محاولة توطين الاكراد فى ليبيا .

أما محاولة التوطين الثانية التى شاهدتها ليبيا فى اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فقد قامت بها السلطات العثمانية لتوطين جماعات الكريتيين فى مدن برقة الساحلية بعد أن تعرض مسلمو جزيرة كريت الى سلسلة من المذابح الوحشية التى قام بها مسيحيو الجزيرة بتحريض من بلاد

---

(3) D. G. H. Cyrenaica, **The Geographical Journal**, London, The Royal Geographical Society, July to December 1909. P. 444.

(4) احمد سعيد الفيتورى . **دليل الوثائق المصنفة** . دار المحفوظات التاريخية . ج 1/ ص 1 / رقم 6 . طرابلس 1392 هـ ــ 1972 م . (بالآلة الكاتبة) .

اليونان وبتشجيع من بعض الدول الاوربية · ولفهم تلك المذابح التي أدت الى هجرة الكثير من مسلمي كريت الى ليبيا علينا أن نلقي بعض الضوء على الوضع التاريخي لجزيرة كريت والاحداث التي أدت الى تلك الهجرة ·

كانت جزيرة كريت تابعة للبندقية عندما بدأت الدولة العثمانية تبسط سيادتها على الجزيرة في عام 1645 بالاستيلاء على مدينة كنيا CANEA · وبعد ذلك بدأت القوات العثمانية تحاصر مدينة كنديا CANDIA في 1648 · واستطاعت الاستيلاء عليها في 1669 م بعد حصار لها دام أكثر من عشرين عاما · وبقيت البندقية تحتفظ ببعض المراكز لها في جزيرة كريت حتى 1715 عندما تم للعثمانيين الاستيلاء نهائيا على جزيرة كريت وضمها الى املاك الدولة العثمانية مع الابقاء على المسيحيين من سكان الجزيرة· وكانت تبعية جزيرة كريت للدولة العثمانية نتيجة حتمية للتوسع العثماني الذى ساد شرقي البحر الابيض المتوسط والذى اقترن بالصراع البحرى العنيف بين القوات الاسلامية بزعامة العثمانيين والقوات المسيحية بزعامة اسبانيا وحلفائها ممثلين في البابا والجمهوريات الايطالية ·

وبعد أن نجحت بلاد اليونان في الحصول على استقلالها من الدولة العثمانية في سنة 1830 بدأ الحكم العثماني في جزيرة كريت يقترن بقيام الكثير من الثورات التى ساعدها على ذلك ما حل بالدولة العثمانية من ضعف عام وما كان يدبره قناصل بعض الدول الاوربية من مؤامرات لخلق المتاعب للحكم العثماني في الجزيرة · وقد وجد سكان جزيرة كريت من المسيحيين الكثير من المساعدات الاوربية في هذا الخصوص حتى اذا كانت 1897 وتجددت الاضطرابات في جزيرة كريت بين سكانها من مسلمين ومسيحيين تدخلت القوات البحرية اليونانية لمساعدة الثوار اليونانيين وساعدت على ارتكاب المذابح ضد مسلمي كريت · واستطاعت القوات اليونانية احتلال جزيرة كريت في 4 فبراير 1897 باسم ملك اليونان · وأمام المذابح التى شاهدتها جزيرة كريت تدخلت الدول الكبرى في ذلك الوقت (بريطانيا ·

فرنسا · روسيا · ايطاليا) واحتلت مدينة كنيا وبعض المدن الاخرى بالجزيرة · وتقدمت بمذكرة جماعية للحكومتين التركية واليونانية · وقد طالبت هذه المذكرة بالحكم الذاتى لجزيرة كريت فى ظل سيادة السلطان العثمانى مع استحالة ضم جزيرة كريت الى اليونان فى الظروف السائدة فى ذلك الوقت (5) · أما المانيا والنمسا فقد رفضتا الاشتراك مع هذه الدول الاوربية فيما اتخذته من اجراء بخصوص حل مشكلة جزيرة كريت (6) ·

وفى 20 مارس 1897 تم اعلان الحكم الذاتى لجزيرة كريت · وانسحبت القوات العثمانية منها · وقد تم جلاء آخر جنود الحامية التركية فى 14 نوفمبر 1898 · وهكذا ترك مسلمو كريت لمصيرهم المظلم دون حماية لهم · وبعد انسحاب الحامية العثمانية وفى 26 نوفمبر 1898 اختارت الدول الكبرى الامير جورج اليونانى مندوبا ساميا للجزيرة لمدة ثلاث سنوات · وقام الامير باستلام مهام منصبه فى 21 ديسمبر من السنة نفسها ·

وفى 1899 أصبح لجزيرة كريت دستور خاص بها · وبدأ الكريتيون يمارسون مسؤولية ادارة بلادهم · وفى 1901 تم تمديد خدمات الامير جورج المندوب السامى بالجزيرة · ولكن الاضطرابات سرعان ما عادت لتتجدد بين سكان الجزيرة من مسلمين ومسيحيين · وعجزت قوات الامن فى الجزيرة عن حفظ الامن بها مما أدى الى تدخل القوات الدولية للقضاء على الاضطرابات الطائفية بالجزيرة · وكان عدد مسلمى الجزيرة قد تضاءل حتى أصبحوا أقلية لا تزيد عن الأربعين ألفا · ولكن هذه الأقلية رفضت الاستسلام وقبول التبعية للحكم اليونانى · وعندما بدأت القوات الدولية فى الانسحاب من الجزيرة فى 27 يوليو 1908 ابتهج السكان اليونانيون وتحرشوا بمسلمى الجزيرة الذين وجدوا انفسهم قد تركوا لوحدهم ليقرروا مصيرهم مما دفعهم الى

---

(5) William Benton ; **Crete, Encyclopedia Britannica, Vol. 6,** **1963. P. 731 - 741.**

(6) René Albrecht - Carrié; **A Diplomatic History of Europe Since the Congress of Vienna. Harper And Brothers, New York, 1958, P. 221.**

الاستماتة فى الدفاع عن كيانهم أمام ما تعرضوا له من مذابح الابادة والاعمال الوحشية مما أجبر الاحياء منهم على الفرار واللجوء الى برقة ومدينة الاسكندرية وسواحل الاناضول • وقد اشار الى هذه المذابح الاستاذ ناحوم شلوش فى مقاله (7) الذى كتبه « الكريتيون فى برقة » فى مجلة « العالم الاسلامى » الصادرة فى باريس فى سبتمبر 1908 • وما زلت اذكر كيف كانت الجالية الكريتية حتى الثلاثينات من القرن الحالى وهى تعيش فى بعض احياء الاسكندرية (*) الهامة بمنطقة بحرى قبل أن تندمج نهائيا فى المجتمع المصرى وان ظلت تحتفظ بملامحها الخاصة • وما زلت أذكر وأنا صغير السن قصص فرار العائلات الكريتية فى مراكب النجاة التى اقلعت بهم الى شواطىء الاسكندرية وبرقة والاعداء يتتبعونهم • كنت استمع الى ذلك فى الوقت الذى كانت فيه الوالدة تحكى تجربة هجرتها عبر الصحراء الكبرى الى الاسكندرية عندما كانت تتبادل الزيارات مع بعض جيراننا من الاسر الكريتية أو عندما كان الوالد يتبادل اخبار هجرة الليبيين الى وادى النيل مع بعض اصدقائه من الكريتيين الذين شاركهم بعض الليبيين اللجوء الى مدينة الاسكندرية• وكان للجالية الكريتية بالاسكندرية نشاط ملحوظ فى تجارة البقالة مع اتقانهم لها كما كان لهم نجاح كبير فى ادارة المقاهى العامة وخدمتها • وقد تمتعوا بسمعة طيبة اكسبتهم احترام الجميع •

والمتتبع للاحداث الجارية فى جزيرة قبرص فى السنوات الاخيرة يكاد يجد تكرارا لما شاهدته جزيرة كريت وما حل بأهلها المسلمين • فهل معنى هذا أن المصير النهائي لجزيرة قبرص سيكون مشابها لما حدث لجزيرة كريت ؟ هذا ما ستكشفه السنوات القادمة باحداثها المتوقعة •

وبحكم الموقع الجغرافى الذى تتمتع به جزيرة كريت والذى

(7) Nahum Slouschz ; Les Crétois en Cyrénaique. Revue du monde musulman, Paris, Septembre 1908, P. 151 - 153.

(*) كان وجودهم ملحوظا بشكل واضح فى شارع رأس التين وشارع فرنسا وشارع الميدان وشارع الشمرلى .

جعلها قريبة من ساحل برقة وبحكم التبعية العثمانية التى كانت تشترك فيها كل من برقة وكريت وبحكم الرابطة الدينية التى كانت تربط مسلمى جزيرة كريت بأهالى برقة فان احداث جزيرة كريت وما حل بأهلها المسلمين من مذابح جماعية قد أثارت أهالى برقة ودفعتهم الى تقديم كل مساعدة ممكنة والترحيب باللاجئين منهم حيث طابت لهم الاقامة فى المدن الساحلية وإن تركزت أغلبيتهم فى طبرق ودرنة وبنغازى وبلدة سوسة بالذات بحكم استمرارية العلاقات التاريخية بين المدن الساحلية فى برقة ومدن جزيرة كريت • لقد جاءت آلاف العائلات الكريتية الى برقة واستوطنت مدنها الساحلية حيث مارست نشاطها اليومى • وكان لهذه الاسر الكريتية أثر واضح فى تكوين المجتمع الليبى فى برقة اذ كانت تمثل نوعا حضاريا ما زالت معالمه واضحة فى الكثير من الاسر الليبية فى برقة • واذا كانت هذه الاسر الكريتية قد اندمجت بمرور الزمن فى المجتمع الليبى إلا أن ابناءها واحفادها ما زالوا يحتفظون بطابعهم الخاص وما زالوا عاملا حضاريا مؤثرا فى المجتمع •

حاولت الدولة العثمانية بحكم مسؤوليتها نحو مسلمى كريت أن تعمل على انقاذهم من المذابح الوحشية التى تعرضوا لها اثناء الثورات التى شاهدتها الجزيرة فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين • قامت تركيا بفتح مجال الهجرة لمسلمى كريت للاقامة فى مدن ساحل الاناضول وخاصة فى مدينة أزمير والمناطق المجاورة لها • واتخذت الدولة العثمانية خطوات ايجابية بخصوص نقل الكثير من العائلات الكريتية المسلمة الى برقة وشرعت فى توطينها هناك وايجاد وطن قومى لها يعوضها عما فقدته فى جزيرة كريت التى استولت عليها اليونان بمساعدة الدول الاوربية الكبرى فى ذلك الوقت • واذا كان عدد الاسر الكريتية المسلمة التى لجأت الى برقة فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين غير معروف بالضبط إلا أن الاستاذ ناحوم شلوش الذى كان استاذا بجامعة السوربون فى باريس والذى قام

بزيـارة ليبيـا ذكـر في مقالـه « الكريتيـون في بـرقة » (8) أن السلطـات العثمانيـة في اسطنبول قد اعطت تعليماتها الى المسؤولين في برقة في 1906 بخصوص توطين ألف اسرة كـريتية • هـذا بالاضافة الى الاسـر الكـريتية التي سبـق لها أن لجـأت الى بـرقة منذ أخذ مسلمو كريت يتعرضون للمذابح الابادية في اواخر القرن التاسع عشر • ولا شك أن اعداد اللاجئين تضاعفت فيمـا بعـد عندما اشتدت وطأة مـذابح المسلمين في كـريت والتي انتهـت باستيلاء اليونان على الجزيرة في 12 اكتوبر سنة 1908 عندما اعلن مجلسها المنتخب الوحدة مع اليونان • وقام المجلس باختيار لجنة من خمسة اشخاص لحكم الجزيرة باسم ملك اليونان • وفي يوم 26 يوليو 1909 سحبت الدول الكبرى ما تبقى من قواتها في جـزيرة كريت التي رفع أهلها العلم اليوناني حتى اذا قامت حرب البلقان ضـد الدولة العثمانية في 1912 وانتهت بعقد معاهدة لنـدن 1913 نصت المادة الرابعة منها على ضم جزيرة كريت الى بلاد اليونان •

وابتداء من ذلك التاريخ اصبحت جزيرة كريـت جـزءا من بـلاد اليونان • ولم يبق من سكانها المسلمين من يعيش فيها وإن كان الكثير من الكريتيين واحفادهم ما زالوا وهم في اوطانهم الجديدة يذكرون ما عانوه هم واجدادهم في سبيل المحافظة على بلادهم التي اجبروا على تركها أمام المذابح الوحشية والقتل الجماعي •

لقد نجح مشـروع تـوطين الكريتيين المسلمين في بـرقة في الوقت الذي فشلت فيه المحاولات التي بذلتها الدولة العثمانية في توطين الاكراد في ليبيا • وهجرة الكريتيين الى برقة وتوطينهـم فيها تستحق دراسة خاصة لما تركته من آثار حضارية في المجتمع الليبي • ويكفي أنها كانت جرعة دموية جديدة في تكوين المجتمـع وإن جاءت على شكل محدود ونطاق ضيق • والأمل كبير أن يقوم احد ابناء ليبيا بدراسة هذه الهجـرة وآثارهـا ومـدى تغلغلهـا في المجتمع الليبي ومدى تأثر هذه الاسر الكريتية بالبيئـة الجـديدة التي انتقلوا اليها وما فيها من مؤثرات اجتماعية •

---

(8) Nahum Slouschz, Ibid. P. 152.

لقد كانت محاولة توطين بعض الاكراد فى ليبيا وتوطين بعض الاسر الكريتية فى برقة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظاهرة تاريخية قامت بها الدولة العثمانية لتجعل من ليبيا وطنا قوميا لبعض الجماعات المسلمة التى كانت تضمها الامبراطورية العثمانية وإن اختلفت ظروف كل منها ·

بقي أن نقول إن محاولة توطين بعض الاكراد في ليبيا قد فشلت في الوقت الذى نجحت فيه محاولة توطين جماعات الكريتيين · ووراء فشل المحاولة الاولى ونجاح المحاولة الثانية عوامل سياسية ونفسية لعبت دورها في تكييف النتيجة النهائية· كانت محاولة الدولة العثمانية فى توطين بعض الاكراد في ليبيا تهدف الى كسر حدة ثورة الاكراد ضد السلطة العثمانية · ولهذا اتخذت حركة التوطين صورة الابعاد والنفى · والاكراد معروفون بصلابتهم وحبهم لبلادهم بطبيعتها الجبلية · أما توطين مسلمى كريت فى برقة فقد كان خطوة عملية قامت بها الدولة العثمانية لحمايتهم من المذابح الوحشية التى تعرضوا لها · وهكذا كانت الدولة العثمانية حامية لمسلمى كريت فى عملية توطينهم فى ليبيا · أما فى عملية توطين بعض الاكراد فى ليبيا فقد كانت الدولة معتدية بالنسبة للاكراد ظالمة لهم · ولهذا فشلت محاولتها لان الاكراد لم يتعودوا الاستسلام لاى ظلم أو عدوان عليهم وتاريخهم ملىء بالشواهد فى هذا الخصوص ·

اليهود في ليبيا

في سنة 331 ق. م. تم للاسكندر المقدوني ضم مصر لامبراطوريته ، وأخذ يتجه بأنظاره الى الغرب قاصدا واحة آمون « سيوة » . وهناك وهو في طريق العودة منها ، اختار مكانا على ساحل البحر الابيض المتوسط ليكون نواة للمدينة التي أسسها ، والتي حملت اسمه فيما بعد ، وهي مدينة الاسكندرية . وهكذا اقترن انشاء هذه المدينة العريقة بالاتجاه نحو المغرب ، فأصبحت بداية له من ناحية الشرق ، وارتبطت به منذ ولادتها . ونمت الاسكندرية بهذا الارتباط الذي اتخذ أشكالا متعددة . ولهذا لا نعجب اذا رأينا جغرافي العرب ومؤرخيهم في العصور الوسطى ، قد اتخذوا من الاسكندرية بداية للمغرب عندما أرادوا تحديد بلاد المغرب (1) . ويكفي أن نذكر أيضا التعبير اللاتيني الذي كان يستعمله الرومان عندما يأتي ذكر مدينة الاسكندرية ، فيقولون ALEXANDRIA AD AEGYPTUM أي الاسكندرية التي بقرب مصر (2) . وهكذا اعتبر الرومان مدينة الاسكندرية شيئا آخر غير مصر . وقد شارك أهل مصر قديما غيرهم في هذه النظرة واعتبروا مدينة الاسكندرية دخيلة عليهم . وزاد من حنقهم عليها اتخاذها عاصمة للدولة طيلة العهدين الاغريقي والروماني ، حتى اذا جاء العرب فاتحين مبشرين بالاسلام ، ونقلوا عاصمة البلاد

---

(1) جاء في الصفحة الخامسة من تاريخ افريقية والمغرب من الفتح الى القرن الرابع الهجري وهو الجزء الاول من كتاب **البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب** لابن عذارى المراكشي والذي نشره مع التحقيق كل من ج. س. كولان وم. ليفي بروفنسال (طبعة ليدن 1948) « .. ان حد المغرب هو من ضفة النيل بالاسكندرية التي تلي بلاد المغرب الى آخر بلاد المغرب . وحده مدينة سلا . ينقسم اقساما : فقسم من الاسكندرية الى طرابلس ، وهو اكبرها ، .. » .

(2) **E. Breccia, Alexandria Ad Aegyptum, A guide to the Ancient And Modern Town, and to its Greco-Roman Museum.** Bergamo, 1922.

من الاسكندرية الى الفسطاط التي تقترب من العاصمة الفرعونية القديمة ، استبشر المصريون واعتبروا هذه الخطوة التى قام بها عمرو بن العاص من حسنات العرب الفاتحين التى قربت الهوة بين الجانبين .

واذا كان البطالسة ملوك مصر الذين خلفوا الاسكندر الاكبر فى حكم مصر واتخذوا من الاسكندرية عاصمة لامبراطوريتهم قد استفادوا من مدن برقة الاغريقية ، وعلى راسها مدينة قورينا (شحات) في تنمية الاسكندرية الجديدة النشأة ، وتطوير ازدهارها ، فانهم بعد أن بسطوا سيادتهم على برقة ، ساهموا فى تطويرها بشريا وعقائديا بتشجيع أعداد كبيرة من اليهود على الاستيطان فى مدن برقة اسوة بما فعلوه في عاصمتهم الاسكندرية وبقية أهم المراكز العمرانية فى مصر . وقد وجد اليهود الوافدون في برقة بيئة صالحة لاستقرارهم والحياة فيها (3) . وبفضل هذه السياسة التى اتبعها ملوك البطالسة فى تشجيع توطين اليهود فى برقة واقبالهم على الحياة فيها ، أصبح اليهود يشكلون عنصرا هاما من عناصر سكان المدن المزدهرة (4) . وهكذا أدت العلاقات الوثيقة التى كانت تربط مدينة الاسكندرية بمدن برقة دورها الهام فى مجيء اليهود بجماعات كبيرة اليها بعد أن جاءوا لمدينة الاسكندرية . وفى مدينة قورينا (شحات) عاش الكاتب اليهودى جاسون JASON الذى كتب مؤلفا فى خمسة كتب عن حروب المكابى (5) .

وبمرور الزمن تكاثر اليهود في البلاد وزاد عددهم فى ظل حماية ملوك البطالسة لهم ، وأصبح وجودهم ظاهرا فى كافة ميادين العمل كالجندية ، الى جانب التحاقهم بالوظائف الحكومية الاخرى ، وخاصة فى الوظائف المالية أو التى لها علاقة بخدمة

(3) مصطفى كمال عبد العليم ، **دراسات فى تاريخ ليبيا القديم** . بنغازى 1966 . ص 12

(4) المصدر نفسه ، ص 173

(5) Nahum Slouschz; **Travels In North Africa**. Philadelphia, The Jewish Publication Society of America, 1927. P. 70.

النشاط المالى ، مثل جمع الضرائب ، وخدمة الموانى التجارية (6)٠

وكان ليهود برقة في عهد البطالسة دور فى النشاط الاقتصادى الحر غير الحكومي ، وقد استفادوا مما تمتعت به البلاد من ازدهار اقتصادى في عهد البطالسة . كل ذلك الى جانب ما كان يقوم به بعض اليهود من نشاط واضح فى البلاد ، حيث أعطيت لهم حرية مزاولة النشاط الزراعي والرعى والمهن الزراعية المتصلة بهما ، سواء أكانوا اصحاب اقطاعات زراعية ، أو مستأجرين لمساحات زراعية ، أو فلاحية ، يعملون في مقابل أجور لهم محدودة (7) ٠

واذا كان ملوك البطالسة أكرموا وفادة اليهود وأحسنوا معاملتهم سواء فى مدينة الاسكندرية وبقية أنحاء مصر ، أو فى برقة التى كانت تابعة لهم ، إلا أنهم لم يرفعوا يهود برقة الى مرتبة مواطنى المدن الاغريقية ، ومع هذا تمتع يهود برقة باستقلالهم القضائى وفق شريعتهم اليهودية فى الاحوال الشخصية . وسمحوا لرؤسائهم بجبى الضرائب التى نصت عليها تعاليم التوراة ، وارسال هباتهم المالية الى هيكلهم المقدس فى مدينة القدس ٠ وتمتع يهود برقة بحرية ممارسة طقوس عقيدتهم ، مع حرية اقامة المعابد ، ولم يذكر لنا المؤرخون أن يهود برقة قد عانوا أى مضايقة فى هذا الخصوص طيلة حكم البطالسة لبرقة . وفى ظل هذه المعاملة الطيبة التى وجدها يهود برقة من ملوك البطالسة ازداد عددهم فى البلاد وتشجعوا على الاندماج في حياة المدن الاغريقية ٠ وقد اتقنوا لغتها ، واتخذوا زيها الاغريقى لباسا لهم (8) ، وقد قابل يهود برقة هذه السياسة الودية من ملوك البطالسة بالتقرب اليهم ، مما أثار عليهم نفوس اغريق مدن برقة الذين كانوا ينظرون الى ملوك البطالسة نظرة المغتصب لبلادهم ، وإن كانوا قد نجحوا فى كبت شعورهم ، حتى تأتى الفرصة المناسبة للتعبير عما فى نفوسهم من مشاعر مكبوتة ضد اليهود الذين بالغوا فى علاقاتهم الودية مع البطالسة . واستمر

---

(6) مصطفى كمال عبد العليم ، العنوان السابق . ص 174 .

(7) المصدر السابق .

(8) المصدر السابق .

يهود برقة يتعلقون فى قلوبهم بمدينة القدس فى فلسطين • وقد كانت لهم فيها بيعة خاصة بهم يقومون فيها بطقوسهم الدينية عندما يذهبون الى اورشليم للزيارة (9) •

وبانتهاء حكم البطالسة أصبحت البلاد جزءا من املاك الامبراطورية الرومانية ، وبهذه التبعية الجديدة بدأ يهود برقة يتعرضون لسياسة جديدة لم يتعودوا عليها أيام البطالسة الذين بالغوا فى تدليلهم والتودد اليهم . ولم تكن هذه السياسة الجديدة التى اتبعها الرومان قاصرة على يهود برقة ، بل شملت جميع المجتمعات اليهودية فى الامبراطورية الرومانية ، وكان رد روما شديدا على ثورة اليهود فى مدينة القدس 66 م• وكانت تلك الثورة قد قامت بسبب الصراع الذى حدث بين الطبقات العليا التى اتفقت فى المصلحة مع أصحاب السلطة فى روما ضد الطبقات الدنيا من اليهود . وتطور هذا النزاع فيما بعد الى ثورة ضد روما نفسها ، مما اجبر السلطات الرومانية فى مصر على ارسال قواتها الى فلسطين • وحدث أن اشترك بعض يهود قورينا (شحات) فى تلك الثورة ، اذ كان ليهود قورينا جالية مقيمة فى مدينة القدس فى ذلك الوقت • وعندما سقطت القدس فى 70 م لجأ بعض اليهود الى برقة هربا من القدس • ونجحوا فى اثارة يهود قورينا ضد الحاكم الرومانى الذى نجح فى اخماد الثورة وقام بذبح حوالى ثلاثة آلاف يهودى منهم ، مع مصادرة ممتلكاتهم (10) •

وهكذا فسدت العلاقة بين اليهود والسلطات الرومانية الحاكمة . وتأزمت العلاقات بينهما حتى اذا كانت 115 م ونشبت ثورة اليهود الكبرى التى عمت ارجاء الامبراطورية الرومانية ، كان يهود قورينا أول من اشعل نارها . وما لبثت أن عمت الثورة برقة كلها ، وبقية أملاك الدولة الرومانية . وقد استغل اليهود فرصة انشغال الامبراطور تراجان فى حربه ضد مملكة بارثيا

(9) Nahum Slouschz ; op. cit. P. 72.

(10) مصطفى كمال عبد العليم . العنوان السابق ، ص 182 / ص 199 . ولكنه يقول عدد الضحايا كان الفين فى كتابه : **اليهود فى مصر** . القاهرة 1968 ص 177 . اما الاستاذ ناحوم شلوش فيقول انهم الفان ص 73 وان كان يعود هو الاخر ويذكر ان عددهم كان ثلاثة الاف ص 216 .

(غربى بحر قزوين) واستنجاده ببعض القوات من بقية الولايات الرومانية لتعزيز قواته المحاربة . وكانت الثورة قد بدأت فى قورينا بفتنة أشعلها اليهود ضد الاغريق من سكان البلاد ، ولكن الامر سرعان ما تطور الى حرب ضد السلطة الرومانية نفسها . وقام يهود قورينا يتزعمهم أحد ابنائهم المسمى اندرياس ANDREAS أو لوكاس LUCUAS (لوقا) بقيادة الحركة . وقد نصب نفسه ملكا على يهود برقة ، وقام اليهود باستباحة مدينة قورينا والمناطق المجاورة لها ، وارتكبوا أعمالهم الوحشية ضد سكانها من الاغريق والرومان .

وتعطى المصادر التاريخية وصفا مخيفا لتلك الاعمال الوحشية التى ارتكبها اليهود : « إنهم كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ، ويصنعون من امعائهم أحزمة يتمنطقون بها ، ويلطخون أجسامهم بدمهم ، ويسلخون جلودهم ويتخذونها ملابس لهم ، وأنهم عمدوا الى كثيرين منهم فشطروهم شطرين من راسهم الى أسفل ، وألقوا بآخرين الى الوحوش المفترسة ، وأرغموا الكثيرين على مصارعة بعضهم بعضا ، كما يفعل المصارعون . وقد بلغ عدد الذين أهلكهم اليهود من الاغريق والرومان من سكان البلاد اثنين وعشرين ألف نسمة » (11) ، أما الاستاذ م. كارى M. CARY فقد شكك (12) فى صحة العدد الذى جاء فى بيانات ديو كاسيوس DIO CASSIUS الذى قال : إن اليهود قد قتلوا 220.000 ألفا من سكان برقة أثناء ثورتهم ، إلا أن كارى يرى فى ذكر هذا العدد ما يدل على أن اليهود قد عملوا على القضاء على سكان برقة من الاغريق والهللينيين الذين كانوا يعيشون فيها !

وأخذ اليهود كافة الاحتياطات اللازمة بخصوص منع وصول اى نجدة رومانية لانقاذ البلاد بغلق الطريق فيما بين قورينا وميناها أبولونيا (سوسة) مستعينين فى ذلك بالكتل

(11) **المصدر السابق** ص 201 ـ ص 202 . ولكنه يذكر فى كتابه الاخر **اليهود فى مصر** ان العدد كان 220 الفا ص 178 . اما الاستاذ ناحوم شلوش فى كتابه السابق يذكر ان عدد الضحايا كان 220 الفا ص 73 ، ص 217 .

(12) M. Cary, A History OF Rome Down To The Reign Of Constantine. London : Macmillan And Co Ltd 1954. P. 664.

الحجرية الضخمة واغطية التوابيت ، وكانت ثورة اليهـــود جامحـــة أتت على معالم المدينة ومعابدها وهياكلها ومبانيهـا وحماماتهـا ، وما زالت بقايا هذا التخريب ظاهرة للعيان حتى اليـوم ، وعمت الثورة اليهودية كافة مدن برقة رغم ما بذلتـه السلطـات الرومانيـة من محاولات لايقافها والتغلب عليها .

ونجح يهود برقة فى نشر ثورتهم فيما وراء حدود البـلاد ، اذ انتقلت عدوى ثورتهم الى يهود جزيرة قبرص ، والى الاسكندرية . وزحف يهود برقة بزعـامة ملكهم لوكـاس (لـوقـا) الى منطقـة مارماريكا (البطنان) شرقى برقة فى الطريق الى الاسكندرية عبـر الصحراء الغربية ، وقد أشاعوا الدمار فى طريقهم حتى وصلوا الى مشارف مدينة الاسكندرية التى فشلوا فى اقتحامها ، فانتشروا فى بقية البلاد ينشرون فيها الدمار والفساد ، ويساعـدون اخوانهـم يهود مصر الذين اشتركوا فى الثـورة على السلطـات الرومـانية فى مصر .

كل ذلك والامبراطور تراجان مشغولا فى حربه ضد برثيا ، حتى اذا انتصر عليهـا ، أرسـل أحـد قـواده مـاركيـوس تـوربـو MARCIUS TURBO الذى نجح فى القضاء على ثـورة اليهـود فى برقة بعد أن انزل بهم عقابا صارما . وانتهت هذه الثورة فى 118 م بعد أن استمرت ثلاث سنوات ، أما من نجا من اليهود ، فقد فـر ولجأ الى بعض القبائل الليبية فى الداخل ، واحتمـى بهـا . وكان هؤلاء اليهود الفارون عاملا فى تصعيـد المقـاومة التى قـامت بهـا القبائل الليبية ضد السلطات الرومانية فيما بعد . وقام الرومان بأسر زعيم ثورة اليهود المدعو (لوكـاس) (لوقـا) ، والذى اتخذ من نفسـه ملكا عليهم . واتخذ الرومان منه موضوعا لسخريتهم من آمال اليهـود فى الخـلاص والتحـرير ، وجعلـوا منـه موضوعـا لتمثيلياتهم المسرحية بمدينة الاسكندرية .

وعندما تولى الامبراطور هادريان عرش روما ، بذل الجهد الكبير لاعادة الحياة الى مدن برقة بعد القضـاء على ثـورة اليهـود ، ومـا سببوه للبلاد من دمار ومتاعب . ويقول المؤرخ البريطانى الاستاذ الـــن ويـس ALAN WACE استاذ الآثار القديمة بجامعة كمبردج

في تعليقه على ثورة اليهود ، وما سببته من دمار للبلاد : إن برقة لم تسترد أبدا ما سببه لها الدمار الذى احدثته لها ثورة اليهود الكبرى (13) . ويقول الاستاذ ناحوم شلوش : ان الرومان قاموا بتخريب البلاد وحولوها الى صحراء (14) فى سبيل القضاء على ثورة اليهود .

ولم يكن وجود اليهود قاصرا على برقة وحدها بل شمل بقية الاجزاء الغربية فى ليبيا . ويقول الاستاذ ناحوم شلوش فى كتابه « رحلات فى شمالى افريقية » : إن مدينة طرابلس الغرب قد عرفت اليهود منذ أقدم العصور ، وربما يعود ذلك الى زمن سابق لمجىء الفينيقيين وتأسيسهم لمدينة طرابلس (15) ، ولكن هذا القول لا يخلو من المبالغة اذا عرفنا أن مدينة طرابلس (أويا) لم تظهر للوجود الا على أيدى الفينيقيين . واذا عرفنا أن شلوش نفسه يؤكد لنا فى كتابه أيضا أن مجىء اليهود الى برقة كان حوالى 320 ق. م. عندما استقدم ملك مصر بطلميوس الاول اعدادا من يهود فلسطين ، وأسكنهم فى المعسكرات الحربية التى انشأها لهم فى مصر وليبيا وقد اعتبر شلوش هذا التاريخ أول تاريخ معروف لدينا فى تاريخ يهود ليبيا (16) . كل هذا لا يمنع من أن نسلم مع شلوش بأن مدينة طرابلس قد عرفت اليهود منذ أقدم عصورها . وعندما قام شلوش بزيارة مدينة طرابلس فى يوليو 1906 في عهد ولاية رجب باشا (1904 ـ 1908 م) عثر على شاهد حجرى لأحد القبور الخاصة « بربى » فى أحد ضواحى المنشية لمدينة طرابلس ، وأنه كان من أقدم الشواهد الحجرية الربية في افريقية . ويذكر شلوش أن هذا الشاهد الحجرى كان فى حوزة الربى بنزيون تشوبا RABI BENZION TSHUBA (17)، ويذكر

---

(13) Aian Wace, **Handbook On Cyrenaica, Part III, The Classical Period. P. 15.**
بخصوص هذا المرجع راجع كتاب المؤلف **المختار في مراجع تاريخ ليبيا** . دار ليبيا للنشر والتوزيع . بنغازى 1967 م . ج 1 . ص 210 .

(14) Nahum **Slouschz ; op. cit. P. 217.**

(15) **Ibid.** P. 11

(16) **Ibid.** P. 212

(17) **Ibid.** P. 11

هذا الشاهد أن سنة الوفاة كانت سنة 4723 عبرية ، أى ما يعادل 963 م. وشاهد شلوش قبرا يهوديا فى الحارة القديمة ببلدة ظليتن ، ويعود تاريخ هذا القبر الى العصر الرومانى (18) .

وفى القرن الخامس عشر الميلادى شاهدت مدينة طرابلس هجرة كبيرة من اليهود وفدت اليها من اسبانيا بعد أن زال منها الحكم الاسلامى وتعرض من بقي فيها من المسلمين واليهود للاضطهاد ومحاكم التفتيش الاسبانية . وقد وجد اليهود ملجأ لهم فى مدينة طرابلس وضواحيها ، كما وجدوا ذلك فى بقية بلاد الشمال الافريقى بصفة خاصة ، وبلاد الدولة العثمانية بصفة عامة . ويقدر الاستاذ شلوش عدد العائلات اليهودية الاسبانية التى لجأت الى مدينة طرابلس بثمانمائة عائلة . وقد ضمت هذه العائلات الكثير من العلماء اليهود ورجال الدين . وعندما استولى الاسبان على مدينة طرابلس فى 1510 م ، تعرض الكثير من يهود المدينة لبطش الاسبان وتعذيبهم وقتلهم ، وتدخل يهود مدينة جنوا عند الاسبان لفك سراح المسجونين اليهود ، فى مقابل دفع الجزية اللازمة (19). وكان من نتيجة هذه الاعمال الوحشية التى قام بها الاسبان بعد احتلالهم لمدينة طرابلس ، أن لجأ الكثير من يهود مدينة طرابلس الى بلدة غريان الجبلية ، حيث عاشوا فى اطمثنان ، وأقاموا فيها مجتمعا خاصا بهم . وقد تم العثور على لوحة اثرية فى بيعة قديمة لليهود بغريان يعود التاريخ المنقوش عليها الى 1559 م (20) . وعندما استولى العثمانيون على مدينة طرابلس فى 1551 م ، وجدوا بها أربعين عائلة يهودية . وكانت هذه العائلات قد جاءت الى المدينة من بلدة جادو بالجبل الغربى (21) .

ويذكر شلوش كيف جاء الربى سيمون لابى RABBI SIMON LABI الى مدينة طرابلس فى 1549 ، وفضل أن يقيم فيها على متابعة رحلته الى الشرق ، لزيارة الاراضى المقدسة فى

(18) **Ibid. P. 49**

(19) **Ibid. P. 13**

(20) **Harvey E. Goldberg; Cave Dwellers And Citrus Growers. Cambridg University Press ; London. 1972, P. 11.**

(21) Nahum Slouschz, **op. cit. P. 13.**

فلسطين ، بعد أن ساءته الاحوال الدينية بين يهود مدينة طرابلس وجهلهم للتعاليم اليهودية ، الامر الذى دفعه الى تفضيل الاقامة بالمدينة لتعليم يهودها وارشادهم الى العقيدة الصحيحة . قام هذا الربى بنشاط دينى ملحوظ فى مدينة طرابلس ، وقد ألف التراتيل المشهورة في الشرق التى مدح فيها الربى بار يوحاى RABBI BAR YOHAI المشهور بين رجال الدين من اليهود . والربى سيمون لابى هو الذى وضع اساس عادة قراءة صلاة الادعية الثمانية عشرة بصوت عال بعد أن كانت تتلى بصوت سرى ، ولا شك أن ابن لابى قد لجأ الى هذا التقليد الجديد ، حتى يستفيد اليهود الأميون الذين لم يكن في وسعهم قراءة اللغة العبرية . وكانت ذكرى ابن لابى حية بين يهود طرابلس عند زيارة شلوش لها ، وينسب يهود طرابلس الكثير من الكرامات اليه ، وقد بقى احفاده من بين قادة يهود مدينة طرابلس . وأصبح أحدهم فيما بعد قنصلا لبلجيكا فى مدينة طرابلس (22) . ويعزى الى سيمون بن لابى الكثير من الطقوس الدينية التى عرف بها علماء يهود طرابلس حتى وقت زيارة شلوش الذى اخذ يعدد لنا أعمال هذا الربى فى ميدان العقيدة الدينية .

والى جانب نشاط هذا الربى اليهودى شاهدت مدينة طرابلس نشاط الكثير من رجال الدين اليهود حتى أن الكثير من علمائهم في القرن الثامن عشر جاءوا من مدينة طرابلس . وكان الربى مسعود هاى روكاح RABBI MESSUD HAI ROKAAH مؤلف رسالة MAASEH ROKAAH واحدا منهم ، وقد توفى هذا الربى فى 1748 م . وكان منهم أيضا الربى ابراهيم خلفون RABBI ABRAHAM HALFON المعروف باشعاره ونشاطه العلمى . وقد ذكر شلوش عددا من العلماء اليهود الآخرين الذين ظهروا فى مدينة طرابلس والمؤلفات العبرية التى قاموا بها . وكان هؤلاء العلماء اليهود يقومون بنشر كتبهم التى ألفوها بمدينة طرابلس فى ليغورن LEGHORN بايطاليا ، ولكنهم بدأوا فيما بعد يطبعون

---

(22) Ibid. P. 15.

كتبهم في مدينة القدس (23) .

وكان من اخطر الحركات الدينية اليهودية التى شاهدتها مدينة طرابلس ، تلك الحركة التي قام بها أحد اليهود المدعو ميشيل كاردوزو MICHAEL CARDOSO الذى ادعى أنه المسيح المنتظر . وكان ذلك في 1664 وفى عهد ولاية عثمان باشا الساقزلى . واستطاع هذا اليهودى بنشاطه أن يجد انتشارا لدعوته بين يهود بلاد الشمال الافريقي حتى المغرب الاقصى ، واستطاع هذا اليهودى أن يجد انصارا واتباعا لدعوته بين بعض مسلمى البلاد (24) .

ويجب أن نذكر أن الدولة العثمانية قد عرفت بتسامحها مع اليهود ، بل قامت باحتضانهم ، وأفسحت لهم المجال في بلادها عندما فر يهود اسبانيا من محاكم التفتيش الاسبانية وعمليات التنصير ، وبعد أن انهار الحكم الاسلامى فى الاندلس ، لجأ اليهود الى الدولة العثمانية التى وجدوا فيها حاميا لهم . وفى ظل هذه الحماية العثمانية استمر اليهود فى ممارسة نشاطهم في جميع الميادين ، حتى وصلوا الى أعلى مراتب الدولة ، واذا كان هناك بعض الظلم قد وقع على بعض افراد منهم فهو شيء طبيعي بالنسبة لما شاهدته الدولة العثمانية من حوادث واحداث لم يسلم منها المسلمون انفسهم ، ولم ينج منها بعض كبار رجال الدولة العثمانية ، ولا بعض السلاطين أنفسهم ، وبعض أفراد أسرهم . ويخفف من هذه المصاعب التي تعرض لها بعض يهود الدولة العثمانية ما استفادوه بصفة عامة من مكاسب بسبب ما اقترنت به العلاقات العثمانية الاوربية من توتر وصراع عنيف ، لعب فيه يهود الطرفين دور الوساطة احيانا ، ودور افتداء الاسرى بما كان لهم من مركز مالى مدعم . وكثيرا ما قام بعض اليهود بدور السفارة للتفاوض مع الطرف الاوربى أو الوساطة لديه . ولهذا كان الجهاد البحرى الذى عرفه البحر الابيض المتوسط منذ بداية القرن السادس عشر ، حتى نهاية القرن الثامن عشر ، أو ما يعرف عند الكتاب الاوربيين

---

(23) Ibid. P. 17.

(24) Ibid. P. 14.

بالقرنصة البحرية ، فرصة طيبة ليهود طرابلس لتنمية ثـروتهم المالية عن طريق القيام بأعمال الوساطة بين الطـرفين . أمـا فى فترات السلم التى كانت تتخلل هـذه القـرون الثـلاثة ، فانهـم استطاعوا تنمية ثروتهم بالتحكم فى التجارة بين طرابلس وبقية المدن الاوربية ، وخاصة جنوا . وبفضل النشاط التجـارى الـذى اتقنه يهود طرابلس فى العهـد العثمـانى ، تحكمـوا فى تجـارة القوافل مع السودان الغربى عبر الصحراء الكبرى . وكان لليهود فى مدينة طرابلس فنادق معروفة بنشاطها فى هذا الخصوص ، كل ذلك الى جانب قيام بعض يهود طرابلس بافتداء الاسرى الاوربيين الذين كانوا يقعون فى أيدى حكام مـدينة طـرابلس فى مقـابل اتعاب مجزية لهم يتقاضونها بالمقايضة مع اخوانهم اليهود الآخرين المقيمين فى أوربا ، وهكذا نعم يهـــود طرابلس برخاء فى الثـروة ، وبجاه عند السلطات الحاكمة ، وبنشاط فى التجـارة . كل هـذا توفر لهم فى ظل أمن عام واطمئنان شامل ، ممـا دفعهـم الى العمـل وبناء وجودهم ، ولكن الحذر دائما كان من شيمتهم ، والاستعـداد لكل حالة وطوارئها .

وكان ليهود ليبيا أعيادهم الخاصة بهم ، ومـواسمهم الـدينية العامة ، التى يشتركون فيها مع بقية اليهود الآخرين . وكان لهم اعيادهم ومواسمهم المحلية الخاصة بهم ، التى حرصوا على الاحتفال بها ، واحيانها فى مواعيدها المعروفة لديهم ، ومن اشهـر هـذه الاعياد الخاصة ما عرفته مدينة درنة بخصوص الاحتفال سنويا فى فصل الخريف بالتبـرك « بصغيـر درنـة » الذى كانوا يحتفلون به فى بيعتهم ، و « صغير درنة » هو نسخة قديمة من التوراة مكتوبة على رق غزال . وقد قذف البحر بهذه النسخة على أثر غـرق احـدى السفن المارة بمياه البحر أمام مدينة درنة . وقام بعض اليهود فى درنة باقتناء هذه النسخة ، واحتفظوا بها فى بيعتهـم ، وصـاروا يحتفلون بها سنويا فى كل خريف ، وكان اليهود يأتون من انحاء ليبيـا الى درنة للتبرك « بصغيـر درنـة » . وبمرور الزمن اصبح اليهود يأتون من الاسكندرية ومن بقية بـلاد الشمـال الافـريقى للاشتراك مع أخوانهم يهود درنـة فى الاحتفـال بهـذه المنـاسبة

الدينية . وكانت مدينة درنة تشاهـد ازدحامـا لليهـود بهـذه المناسبة ، مما شجعهم على مد فترة الاحتفال بهذا « الصغيـر » من يوم واحد الى يومين واستمر يهود درنـة يحتفلـون بهـذه المناسبـة حتى اختفى هـذا « الصغيـر » في اواخـر الاربعينـات بسبب مـا أصبح يقترن به احتفالهم هذا من استفـزاز لاهـل درنـة . وقد اثارهم ما تعرض له اخوانهم في فلسطين من عدوان بطـردهم من بلادهم ، وقيام دولة اسرائيل . ونجح يهود درنة في استرجـاع هذا « الصغيـر » في مقابل بعض الاغراءات المالية ، واحضروه الى بيعتهم في بنغازي بعد أن خلـت درنـة من يهودهـا . وفي 1960 قابلت رحمين خلفون في متجره بسوق الجريد ببنغازي ، وكان قد انتقل اليها من درنة التي كان رئيسا لطائفتها اليهـودية ، وقـد أمدني ببعض المعلومات الخاصة بهذا « الصغيـر » ، وأكد لي وجوده في بيعة اليهود ببنغازي ، وإن كنت أشـك في صحـة أقـواله . والغالب أن اليهود قد عملوا على تهريبه الى الخارج ، أما رحميـن خلفون فقد استمر يعيش في بنغازي يمارس تجارته حتى الحرب العدوانية في يونيو 1967 ، حيث غادر البلاد ولم يعد اليها بعد .

وفي العهد القرهمانلي (1711 ــ 1835) تمتع يهود ليبيا بنفوذ قوى لدى الاسرة الحاكمة ، وخاصة في عهد علي باشا القرهمانلي . الذى أعطى احدى اليهوديات مكانة خاصة لديه ، وقد استطـاعت هذه اليهودية أن تلعب دورا هاما في حياة البلاد ، ولصالح ابنـاء الجـالية اليهودية . واشارت مس توللي الانجليزية الى هذه اليهودية التي كانت تسمى « اشتير » ESTHER ، والى أهمية الدور الذى لعبته في حياة علي باشا القره مانلي ، وتكييف سيـاسته العـامة للبلاد . وبلغت « اشتير » من قوة النفوذ حتى أن الاستاذ شلوش قال إنهـا كانت معروفة بالملكـة اشتيـر ، QUEEN ESTHER (25) وإن كانت في آخر حياتها تعرضت لبعض المتاعب لما جمعتـه من ثروة مالية أطمعت فيها الكثيرين (26) .

(25) Ibid. P. 19.

(26) Narrative of A Ten Year's Residence at Tripoli In Africa. London 1817. P. 351.

انظر نس الصفحة فى نسخة المؤلف

وكان ليهود مدينة طرابلس دور هام فى سياسة البلاد فى عهد يوسف باشا القره مانلى ، ولكن عندما اضطربت الاوضاع المالية فى آخر ولايته ، وعجز عن دفع ديونه ، وجد نفسه وجها لوجه أمام ازمة مالية ، أحكم رجال المال من اليهود حبكها . وقام قنصل بريطانيا وقنصل فرنسا بدور الحامى لهؤلاء اليهود الذين تعمدوا إغراق الباشا فى الديون ، بعد أن عجزت موارده المالية عن سداد التزاماته ، بسبب ما آخذت تعانيه تجارة القوافل مع السودان من تدهور ، وبسبب انعدام الغنائم البحرية وإتاواتها الدولية ، بعد أن تحالفت الدول الاوربية ضد البحرية الليبية ، واتخذت موقفا موحدا ضد نشاطها فى البحر .

واستمر يهود ليبيا ينعمون برخائهم وحياة الاستقرار طيلة العهد العثمانى الثانى (1835 ــ 1912) ، وسجل الرحالة اليهودى اسرائيل بنجامين ISRAEL BENJAMEN المعروف باسم بنجامين الثانى ، والذى زار طرابلس فى 1850 انطباعاته عن حالة اليهود ، وما كانوا ينعمون به من حياة مستقرة . لقد وجد فى مدينة طرابلس حوالى ألف عائلة يهودية ، وكان لهذه العائلات أربعة من رجال الدين وثمانية بيع يهودية . وكان النشاط التجارى لليهود مزدهرا عبر الصحراء الكبرى . وقد مدح هذا الرحالة الروح العامة لليهود ، وكرم اغنيائهم . وقد استمرت الاوضاع الاقتصادية على نشاطها فى طرابلس حتى 1885 بعد أن استولت فرنسا على تونس فى 1881 ، وبعد أن نجح الانجليز فى استعادة الخرطوم ، والقضاء على ثورة المهدى فى السوادن ، مما قلل نشاط تجارة القوافل التى كانت تقوم بها مدينة طرابلس (27) . وهناك وثيقة باللغة العبرية تعطى وصفا للمجتمع اليهودى فى طرابلس فى 1886 . وسجلت هذه الوثيقة وجود 18 بيعة يهودية و 11 مدرسة لتعليم التوراة ، الى جانب مدرستين للاتحاد الاسرائيلى . ونجح الربى الياهو هازان RABBI ELIYAHU HAZAN رئيس الاتحاد الاسرائيلى بمدينة طرابلس فى تحقيق الكثير من الخدمات للمجتمع اليهودى فى مدينة طرابلس . وقد أصبح هذا الربى فيما

(27) Nahum Slouschz ; op. cit. P. 33.

بعد ربيا لمدينة الاسكندرية (28) .

أما ناحوم شلوش الذى زار ليبيا مرتين فى بداية القرن العشرين ، فقد أعطانا انطباعاته عن يهود ليبيا ، وما كانوا يتمتعون به من نشاط فى ظل حياة آمنة ، وكيف كان يستطيع التاجر اليهودى أن يذهب بعيدا عبر الصحراء ، حتى فزان وقرزة ، وهو آمن مطمئن (29) .

وكان ليهود مدينة طرابلس حى خاص بهم عرف باسم « الحارة » ، وهى كلمة بربرية من اصل يونانى معناها المكان المنعزل (30) ، وهى تعادل كلمة « الملاح » المعروفة فى المغرب الاقصى ، وكان فى مدينة طرابلس حارة كبرى ، وحارة صغرى . وقد اشتركت الحارتان فيما اشتهرت به الاحياء اليهودية فى بقية أنحاء العالم من قلة فى النظافة ، مع تدهور فى الاوضاع الاجتماعية ، وكانت حارة اليهود موجودة فى أغلب مدن ليبيا التى كان يعيش فيها اليهود الذين انتشروا فى جميع المراكز العمرانية . ومن هذه الحارات حارة الزاوية الغربية . وكان ليهودها وسكانها شهرة خاصة ، وحارة ظليتن ، وحارة مسلاته ، وحارة سوق مسراته المعروفة بحارة اواطين ، وحارة محلة يدر بمسراته التى كانت تضم عددا كبيرا من اليهود ، اذ بلغ عددهم ألف يهودى فى 1906 . وحارة يدر أقدم من حارة أمواطين ، الى جانب كثرة عدد اليهود بها (31) . وكان ليهود يدر شهرة خاصة فى مسراته ، وما زال كبار السن فى مسراته يذكرون سوق يدر ونشاطه قبل أن تختفى معالم هذا السوق تماما . ولا زلت أذكر موظف الجمارك فى بلدة سرت فى أول زيارة للبلاد فى اعقاب الحرب العالمية الثانية وفى شهر يوليو 1944 ، وقد كان ذلك الموظف من يهود يدر كما اخبرنى بذلك . وكانت الادارة العسكرية البريطانية قد اتخذت من سرت نقطة للمعاملات الجمركية فيما بين ولاية طرابلس وولاية برقة .

---

(28) Ibid. P. 33.
(29) Ibid. P. 108.
(30) Ibid. P. 5.
(31) Ibid. P. 51.

ويعطى الاستاذ ناحوم شلوش بيانا باعداد اليهود الذين كانوا يعيشون في ليبيا فى بداية القرن العشرين ، ولكن الدارس لهذه الاعداد يجد تضاربا في بعضها ممـا يشكك المرء فى صحتهـا ، وبالتالى فى قيمتها العلمية ، وما علينـا إلا الرجـوع الى ما جـاء بخصوص يهود بلـدة جنـزور ، حيـث نجـده ذكـر أنهـم كانـوا خمسة وستين يهوديا (32) . ويعود مرة أخرى ويذكر أنهم كانوا ستين يهوديا (33) ، ثم يعود ويذكر أنهم كانوا مـائة وثمـانين يهوديا (34) ، وأخيرا يذكر أنهم كانوا ثلاثمائة (35) ، ولكن هذا التضارب في الاعداد لا يعتبر شيئا اذا قارناه بما ذكره بخصوص يهـود مدينـة طرابلـس ، حيث يذكـر أنهـم كانـوا أربعـة عشـر ألفا (36) ، ولكنه يعود ويذكر أنهم كانوا سبعـة آلاف وخمسمائة يهودى (37) . وأخيـرا يعـود ويذكر أنهـم كانـوا خمسـة عشـر ألفا (38) . أما يهود مدينة بنغازى فقد قدرهم بعدد يتراوح بين ألفين وألفين وخمسـمائة يهودى فى 1906 (39) . وكان قد قدرهم فى 1850 م بمائة عائلة . ولم يكن ليهـود بنغـازى حـارة خاصة بهم بل كانوا يعيشون منتشرين فيها (40) ، أما يهـود درنـة فقد كانوا ثلاثمائة يهودى (41) .

ويعطى ناحوم شلوش تقديرا عاما لسكان ليبيـا الذين قـدر عددهم ما بين التسعمائة ألـف والمليـون نسمة ، ومن بين هذا العدد كان هناك ثلاثون ألفا من اليهود (42) ، خلاصة القول يجب أن نأخذ هذه الاحصائيات العديدة التى أثبتها شلـوش فى كتـابه

(32) Ibid. P. 33.
(33) Ibid. P. 34.
(34) Ibid. P. 39.
(35) Ibid. P. 209.
(36) Ibid. P. 4.
(37) Ibid. P. 33.
(38) Ibid. P. 209.
(39) Ibid.
(40) Ibid. P. 77.
(41) Ibid. P. 209.
(42) Ibid.

بكل حذر . وعلينا ان نأخذ بها للاستنارة فقط لتضارب بعضها كما سبق ذكره ٠

وكان يهود ليبيا يزاولون أعمالهم المعيشية بحرية تامة ، وقد انفردوا ببعض الحرف الخاصة كالخياطة ، وصناعة الذهب والفضة ، وصنع الخمور وبيعها ، ولكن كان معظم نشاطهم منصرفا الى التجارة بأنواعها ، وما يتعلق بها من أعمال مصرفية مثل تبديل العملة وصرفها ، والتأكد من هويتها وصلاحيتها للتعامل ، واعطاء القروض ، وتقديم التسهيلات المالية ، فى مقابل رهونات وفوائد مشروطة . وقد استمر النشاط المالى لليهود حتى بعد أن عرفت البلاد النشاط المصرفي فى بداية القرن العشرين . وعرف اليهود كيف يسيطرون على تجارة القوافل مع السودان ، بتوفير رأس المال اللازم لنشاط الكثير من التجار الذين كانوا يتعاملون مع السودان ، كل ذلك الى جانب سيطرتهم على الاسواق الاروبية التى كانوا يستوردون منها البضائع اللازمة للسودان ويصدرون اليها ما كانت تأتى به القوافل التجارية العائدة من السودان . واستطاع تجار اليهود بما لهم من نشاط وطرق تجارية ، القيام بالدور الاساسى فى تجارة الاسواق المحلية ، حتى أصبح من الاقوال المشهورة ما كانت تردده بعض الالسن فى هذا الخصوص : « سوق من غير يهود كسند من غير شهود » (43) ، والواقع أن مثل هذه الاقوال المأثورة هو من الاسرائيليات التى تهدف الى تأكيد الشخصية اليهودية ، وما لها من نشاط اساسى فى الميدان التجارى . وعلينا أن نعرف أن هذا المثل المذكور وغيره قد جاء فى كتاب المؤلف اليهودى م٠ كوهين فى كتابه « اليهود فى ليبيا ، عاداتهم وتقاليدهم » ٠ وقد جمع فيه المؤلف الكثير من عادات يهود ليبيا وأحوالهم الاجتماعية مع الكثير من الامثلة المتعلقة بحياتهم ونشاطهم المختلف ٠

وكانت تجارة الحلفا فى ايدى اليهود حيث أنشأوا لها المراكز

(43) M. Cohen ; Gli, Ebrei in Libia Usi E Costumi. Tradotto E Annotato Da Martino Mario Moreno. Roma 1927. P. 51.

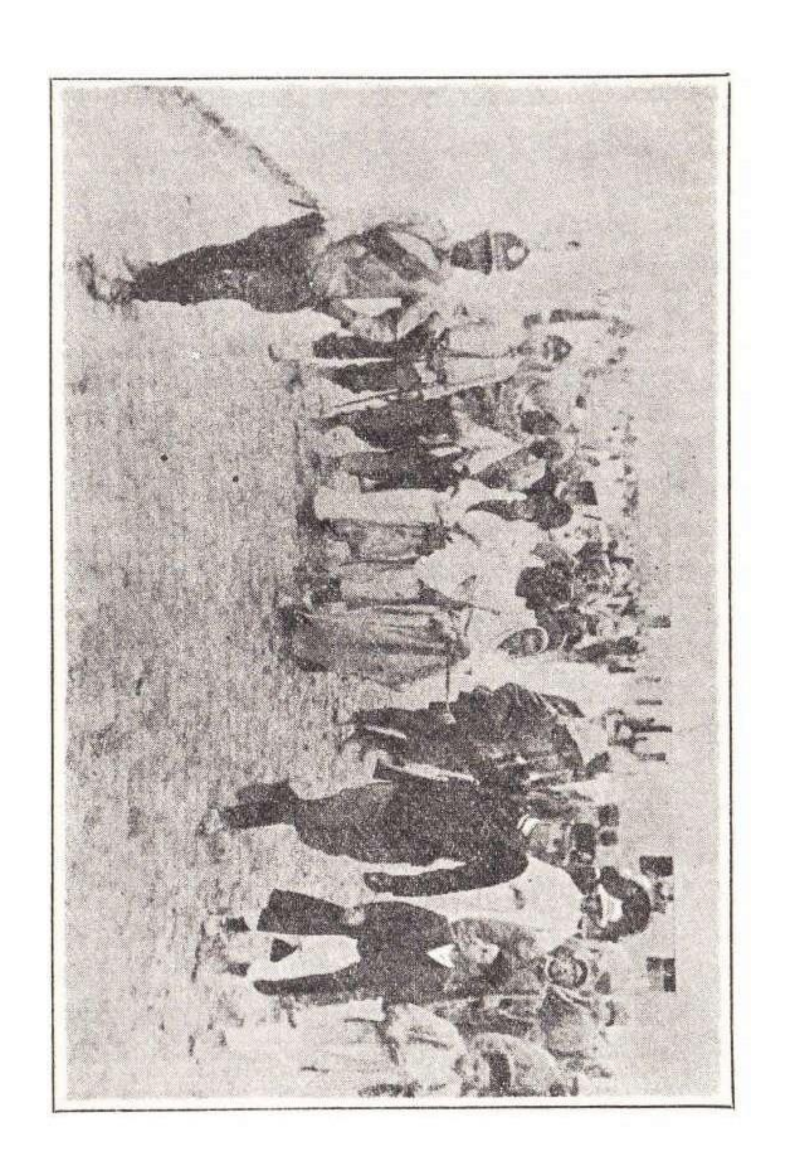
لجمعها وتصديرها في بلدة الخمس وبلدة ظليتن ومدينة طرابلس . وكانت أسرة ناحوم اليهودية من أهم تجار الحلفا وكان لافرادها نشاط كبير في هذا الخصوص في بلدة الخمس ، حيث كانت هذه الاسرة تقوم بتصدير الحلفا الى اسواق أوربا . واستطاعت هذه الاسرة أن تجمع ثروة كبيرة بنشاطها في تجارة الحلفا مما ساعدها على بناء بيعة لليهود في الخمس ومدرسة لتعليم ابناء اليهود . وقد زار الاستاذ ناحوم شلوش بلدة الخمس في صيف 1906 وأعجب بجمال هذه البيعة اليهودية . وقد قدر عدد يهود الخمس في ذلك الوقت بخمسمائة يهودي كانوا يعيشون في انسجام تام مع بقية سكان البلدة من عرب ، ومالطيين ، وعثمانيين يمثلون السلطات الحاكمة ورجال حاميتها (44) .

خلاصة القول أن يهود ليبيا كانوا في العهد العثماني ينعمون بحياة مكنتهم من الانتشار في مدن ليبيا وقراها المختلفة ، ومن مزاولة نشاطهم الاقتصادي الذي مارسوه بحرية كاملة جعلتهم أصحاب الكلمة الاولى في التجارة والحرف الصناعية المعروفة في ذلك الوقت . واذا رجعنا الى الانطباعات العامة التي سجلها الاستاذ ناحوم شلوش في كتابه عن احوال يهود ليبيا نجده يعبر عن حالة الرضا عن أحوالهم . وقد سمحت له الظروف أن يتجول في ليبيا وأن يزور الاماكن التي كانوا يعيشون فيها وأن يتصل بهم دارسا لاحوالهم وأوضاعهم . وقد سهل له رجب باشا الوالي العثماني مهمة الانتقال في البلاد بحرية تامة ، وبدون حراسة .

وفي خريف 1911 بدأ الغزو الايطالي لليبيا الذي وضع حدا لنهاية الحكم العثماني . وكان ليهود ليبيا موقف واضح من هذا الاحتلال الذي وقفوا منه موقف الترحيب . ووجد اليهود في الاحتلال الايطالي فرصة لتنمية أوضاعهم الاقتصادية . وكان هذا الموقف أشد ما يكون وضوحا بين يهود مدينة طرابلس التي كانت أول ضحية للاحتلال الايطالي حتى خرج منها الايطاليون في 22 يناير سنة 1943 بعد هزيمة قواتهم أمام الجيش البريطاني

---

(44) Nahum Slouschz ; op. cit. P. 45.



الثامن ، وقد سجل الكاتب الانجليزى فرانسيس مكولاغ فى كتابه موقف يهود مدينة طرابلس من الاحتلال الايطالى عندما لاحظ وجود جميع يهود المدينة وعدم تغيب أى واحد منهم ، وهو يعنى بذلك عدم اشتراك يهود مدينة طرابلس فى معسكرات المجاهدين خارج المدينة استعدادا للهجوم على القوات الايطالية . ويذكر هذا الكاتب ان الجريدة الايطالية التى كانت تصدر بمدينة طرابلس فى أواخر العهد العثمانى الثانى كان يقوم باصدارها أحد يهود مدينة طرابلس (45) .

والواقع أن الايطاليين فى اعتدائهم على البلاد قد وجدوا فى بعض رجال اليهود من عاونهم فى القيام بأعمالهم العدوانية مثل الترجمة والابلاغ عما كان يقوم به الاهالى من نشاط مضاد ، وفى الصورة التى نشرها الكاتب فرانسيس مكولاغ ما يكشف لنا عن الدور الذى كان يقوم به بعض اليهود اذا أمعنا النظر فى صورة الرجل الذى يسير بجانب الجندى الايطالى الذى كان يقود بعض الليبيين الى الاعدام . إنه رجل يهودى بحكم زيه الخاص به ، الذى يتميز بالسروال القصير الذى اعتاد يهود ليبيا استعماله (46) .

ويذكر الكاتب الانجليزى ايضا الكثير من الامثلة لاعمال الجوسسة التى كان يقوم بها بعض اليهود لحساب السلطات الايطالية وقواتها المعتدية ، مما أدى أحيانا الى قتل الليبيين والحاق الأذى بهم ، كما حدث فى الاربعة عشر شهيدا الذين راحوا ضحية لجوسسة أحد اليهود (47) . والكاتب فى إشارته الى هؤلاء الضحايا يشير الى الشهداء الذين تسمى باسمهم فيما بعد ميدان الشهداء ، وقد تمت عملية شنقهم فى الشارع الصغير المعروف حاليا باسم شارع سيدى حمودة وأمام مدخل المبنى التابع لادارة الاوقاف ، والذى يوجد به نادى الاتحاد . ويذكر هذا الكاتب ايضا كيف كان يصر اليهود على حضور محاكمة الاسرى من المجاهدين فى محاكم الهواء الطلق فى الوقت الذى كان يمتنع فيه العرب عن

---

(45) **Francis McCullagh ; Italy's War For A Desert.** London : Herbert And Daniel, 95 New Bond Street, 1912. P. 79.

(46) **Ibid.** P. 147.

(47) **Ibid.** P. 148.

حضورها (48) . ويدين هذا الكاتب جميع يهود مدينة طرابلس بانحيازهم الى الجانب الايطالى (49) ·

ولا زلت أذكر « جوهرة » اليهودية من سكان مدينة بنغازى والتى كانت تعيش فى حارة اليهود بالاسكندرية في الثلاثينات من هذا القرن ، وقد احترفت خياطة الملابس واعدادها للبيع فى الاسواق الاسبوعية بالحمام والعامرية بمريوط فى صحراء مصر الغربية . وقد أتاحت لها هذه العملية الاتصال بالكثير من الليبيين بترددها على هذه الاسواق ، وبترددها على بعض العائلات الليبية التى كانت تعيش فى مدينة الاسكندرية . وكانت معروفة بحديثها الشيق ورطوبة لسانها . وكان لسانها يغزل الحرير ، كما يقول المثل الليبى ، وكانت « جوهرة » تلتقط الاخبار لتقديمها للقنصلية الايطالية فى الاسكندرية ، اذ كانت عميلة لها وعينا من عيونها التى كانت تتبع الليبيين فى مصر وما يقدمونه من نشاط عام ·

خلاصة القول ، أن يهود ليبيا عرفوا كيف يتعايشون مع السلطات الايطالية الحاكمة والمعمرين الايطاليين الوافدين على البلاد فيما بعد حتى أواخر الثلاثينات من القرن العشرين ، عندما بدأت السياسة الايطالية الفاشستية تغير من نظرتها وتعاملها مع اليهود تمشيا مع سياسة حليفتها المانيا النازية . وعندما قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939 اعتقلت السلطات الايطالية فى ليبيا الكثير من يهودها ووضعتهم فى معتقلات خاصة بهم فى « جادو » بالجبل الغربى ، وعزلتهم عن المعتقلين الآخرين من ليبيا . ومع هذا استطاع بعض اليهود أن يكونوا عونا للحلفاء بالقيام ببعض أعمال الجاسوسية لحسابهم · وفى بداية 1943 تمكنت قوات الحلفاء من طرد القوات الايطالية وحلفائها من ليبيا وأصبحت البلاد خاضعة للادارة العسكرية البريطانية فى برقة وطرابلس فى الوقت الذى احتلت فيه القوات الفرنسية القادمة من تشاد منطقة فزان . وقد اقترن عهد الادارة البريطانية فى البلاد بانتعاش يهود ليبيا وقد احتضنتهم السياسة البريطانية

(48) Ibid. P. 182.
(49) Ibid. P. 288.

الجديدة . ووجد يهود ليبيا في بعض رجال الادارة البريطانية من اليهود ما شجعهم ودفعهم الى تحقيق الكثير من المكاسب المادية ، بالاضافة الى إحياء الروح الصهيونية واشعالها بينهم . ولم يكن هذا قاصرا على مدينة طرابلس بل تعداها الى يهود المناطق الداخلية . وها هو الاستاذ اليهودى هارفى إ. جولدبرج الاستاذ المشارك بجامعة آيوا الامريكية يسجل لنا فى كتابه « سكان الكهوف ومزارعو المرالح ». كيف أخذ يهود غريان يساهمون فى الحركة الصهيونية العالمية (50) . ولا زلت أذكر كيف وصل بنا القطار العسكرى من القاهرة الى طبرق فى يوليو 1944 وقد وجدنا حافلتين ايطاليتين بجراريهما من ماركة « ترنتا كواترو » وهما تحملان بعض العائلات اليهودية القادمة من طرابلس في طريقها الى فلسطين لتأخذ القطار فى عودته الى القاهرة .

وفى عهد الادارة البريطانية باشر يهود ليبيا نشاطهم الصهيونى بشكل واضح ، وسمحت لهم الادارة البريطانية بفتح ناديهم « المكابى » فى أهم شوارع مدينة طرابلس ، فى المبنى الذى شغله « المجلس التشريعى » لولاية طرابلس فيما بعد والذى أصبح أخيرا مقرا لمحافظة طرابلس. وفى 2 نوفمبر سنة 1945 قامت البلاد العربية بالاحتجاج على وعد بلفور بالاضراب العام . وقد اقترن هذا الاضراب ببعض الحوادث الدامية خصوصا فى مدينة الاسكندرية . وكان لهذه الاحداث صداها القوى فى ليبيا ، فانفجرت مدينة طرابلس يوم 3 نوفمبر سنة 1945 ضد سكانها من اليهود وقد أثارتهم الاستفزازات اليهودية ، واحتضان بعض رجال الادارة البريطانية من اليهود لاخوانهم يهود طرابلس . وكان فى مقدمة هؤلاء المسؤولين البريطانيين متصرف مدينة طرابلس المستر جوردان JORDAN والدكتور سيجال SIGAL الذى كان مديرا للمعارف لفترة قصيرة (51) والمستر جللاجير GALLAGHER الذى كان عميدا لبلدية طرابلس . وحدثنى شاهد عيان من سكان منطقة باب البحر بمدينة طرابلس ، حيث كانت توجد حارة

(50) Harvey E. Goldberg ; op. cit. P. 21.

(51) أصبح الدكتور سيجال فيما بعد عميدا لكلية الدراسات الشرقية بجامعة لندن School of Oriental Studies فى الستينات .

اليهود ، أن الاشتباكات بين العرب واليهود كانت عنيفة للغاية ، وقد تعرض العرب الذين كانوا يقطنون بجوار الحارة لكثير من المتاعب لعدة أيام بعد أن فقد سكانها من اليهود السيطرة على اعصابهم فاندفعوا يتحرشون بجيرانهم العرب ، وسرعان ما انتشرت الاشتباكات بين العرب واليهود الى جميع مدن وقرى ولاية طرابلس ، وساعد على انتشارها الموقف السلبى الذى اتخذته الادارة البريطانية من هذه الاحداث التى لم تتدخل لايقافها إلا بعد فوات الوقت . وتجددت هذه الاحداث فى نوفمبر 1946 ، ولكنها اقتصرت على مدينة طرابلس وضواحيها ، وبشكل أخف عما حدث فى السنة السابقة . وشاهدت السنوات التالية هجرة الكثير من يهود ليبيا الى مدينة طرابلس ومنها الى فلسطين . وزادت هذه الهجرة بعد 1948 على اثر قيام دولة اسرائيل حتى أصبح من المناظر المألوفة فى مدينة طرابلس طوابير اليهود وهى تتزاحم على مكاتب التطعيم فى بلدية طرابلس استعدادا للسفر ، ولكن هذه الهجرة كانت قاصرة على الفقراء من اليهود ، أما رجال الأعمال فقد فضلوا الاقامة فى مدينة طرابلس وقد حققوا مكاسب اقتصادية كبيرة بطرقهم الخاصة فى سبيل الوصول الى اهدافهم . وكانت الرشوة والوساطة فيها من أهم هذه الوسائل التى لجأ اليها بعض رجال الاعمال من اليهود فى سبيل تكوين الثروة والمركز الاجتماعى . وما علينا إلا الرجوع الى كتاب الاستاذ هارفى إ. جولدبرج الذى آكد هذا السلوك الملتوى الذى اتبعه بعض اليهود مع ذكر الاسماء (52) ، وكان من أخطر المحاولات التى قام بها بعض اليهود لفرض سيطرتهم على البلاد تلك المحاولة التى أقدم عليها « شرتوك » الامريكى أخو رئيس وزراء اسرائيل فى أواخر الاربعينات لتكوين شركة كبيرة للبحث عن النفط فى ولاية برقة ، مستغلا ما كانت تعانيه البلاد من فقر شديد فى المال والموارد المالية .

وبمرور الوقت أصبح يهود ليبيا يعيشون فى مدينتى بنغازى وطرابلس بعد أن انسحبوا من بقية المدن الليبية الاخرى ، وكان

---

(52) Ibid. P. 27.

عدد اليهود في مدينة بنغازي قليلا بالنسبة لما كانت عليه أعدادهم في مدينة طرابلس . وقد تحايلوا على ضمان اتصالهم باسرائيل بطرقهم الخاصة الملتوية . وقامت المدن الايطالية وعلى رأسها روما بدور هام في وصل يهود مدينتي طرابلس وبنغازي بأهلهم الذين هاجروا الى فلسطين المحتلة . وقد بلغ عدد اليهود الذين هاجروا من ليبيا الى اسرائيل فيما بين 15 مايو 1948 حتى ديسمبر 1951 ثلاثين ألفا وتسعمائة واثنين وأربعين يهوديا حسب ما جاء في كتاب « الشرق الاوسط » (53) الذي أصدره المعهد الملكي في لندن للشؤون الدولية لاول مرة في 1950 والذي أعيد طبعه عدة مرات كان من بينها طبعة 1955 التي اثبتت قائمة بالدول التي هاجر يهودها الى فلسطين المحتلة ، وعدد اليهود المهاجرين من كل قطر ونسبتهم المئوية بالنسبة للمهاجرين جميعهم أثناء تلك الفترة المحدودة ، ولكن عدد اليهود المهاجرين من ليبيا ما لبث أن ازداد بمرور السنوات خصوصا بعد العدوان الثلاثي على مصر في 1956 ، وأخيرا بعد الحرب العدوانية في يونيو 1967 التي أنهت الوجود اليهودي في برقة تماما ، وقللت اليهود الموجودين في مدينة طرابلس الى عدد يكاد لا يذكر بالنسبة لما كان عليه عددهم في السنوات السابقة . كان ذلك طبيعيا بسبب ما كان يكنه يهود ليبيا من ولاء لاسرائيل اسوة ببقية اخوانهم يهود العالم . وكان هذا الشعور أقوى ما يكون بين شبابهم ، وكان من الطبيعي أن يفقد يهود ليبيا حالة الامن والاستقرار ، بعد أن انصرفوا بولائهم لاسرائيل ، مفضلينها على البلاد التي آوتهم واحتضنتهم يوم أن لجأوا اليها فرارا من ظلم الآخرين .

هذه نظرة عابرة عن تاريخ اليهود في ليبيا كان من الضروري اثباتها لاعطاء خلفية لمشروع الوطن القومي لليهود في ليبيا ، وهي لا تكفي لدراسة تاريخ يهود ليبيا ، وإن كانت تصلح لاثارة الكثير من النقط التاريخية التي يجب الالتفات اليها واعطائها حقها من الدراسة والاهتمام .

---

(53) **The Middle East, A political And Economic Survey. London And New York. Royal Institute of International Affairs, 1955. P. 299.**

توطين اليهود في ليبيا

عرفت الدولة العثمانية باحتضانها لليهود وبعطفها عليهم ، وقد جاء هذا الموقف فى اساسه نتيجة طبيعية لذلك الصراع العنيف الذى شاهده البحر الابيض بين القوات العثمانية والقوات الاسبانية وحلفائها ، وكان يهود اسبانيا قد عانوا الكثير على أثر انتهاء الحكم الاسلامى فى اسبانيا مما دفعهم الى الالتجاء الى الشمال الافريقى وبقية بلاد الدولة العثمانية التى أفسحت صدرها لهؤلاء اليهود الفارين . وهكذا وجد اليهود فى عداوة العثمانيين للاسبان فرصة للايواء والانتعاش . وسرعان ما أصبحت حماية اليهود ورعايتهم من اسس سياسة الدولة العثمانية . وفى ظل هذه السياسة وصل بعض اليهود الى أعلى مناصب الدولة بعد اعتناقهم للاسلام عن عقيدة وايمان أو عن تحايل لتحقيق مآرب خاصة . ولا زالت هناك فئة فى تركيا تعرف باسم « دونمه » أى المرتدين عن دينهم اليهودى ، وقد اعتنق افراد هذه الطائفة العقيدة الاسلامية ومعظم أفرادها قد جاءوا من منطقة سالونيك فى بلاد اليونان . ولم يكن العثمانيون أول من اتبع هذه السياسة مع اليهود فقد سبقهم الى هذا الموقف الكثير من حكام المسلمين . وكلنا لا ينسى يعقوب ابن كلس اليهودى الاصل ، والذى أصبح رئيسا لوزراء مصر فى العهد الفاطمى . وكلنا يذكر كيف أصبح يوسف باشا قطاوى أحد رجال يهود مصر فى العصر الحديث وزيرا لماليتها فى عهد الملك فؤاد الاول ، وكيف أصبحت مدام قطاوى باشا كبيرة وصيفات ملكة مصر . وهناك كثير من الامثلة التى تشهد بتسامح حكام المسلمين مع اليهود واحتضانهم لهم .

ولكن هذا العطف الذى عرفت به الدولة العثمانية نحو اليهود أطمعهم فى الدولة حتى أنهم تجرأوا فيما بعد فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى (1876 ـ 1909) على طلب تأسيس وطن قومى

لهم في فلسطين في مقابل اغراء السلطان بالمال ، ودفع مبالغ كبيرة للدولة العثمانية لتسديد ما عليها من ديون دولية الى جانب استعمال الضغط السياسي عليه ، ولكن السلطان عبد الحميد الثاني أبى أن يستجيب لتحقيق رغبتهم رغم كل الاغراءات المقدمة اليه والتهديدات التي لجأوا اليها . وأمام هذا الموقف الذي اتخذه السلطان عبد الحميد الثاني من فكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين أضطر زعماء الحركة الصهيونية أن يؤجلوا تحقيق فكرتهم هذه ، وإن حاولوا تنفيذها في مناطق أخرى ، إلا أنهم بقوا مصرين على فلسطين ، رغم العروض الاخرى الكثيرة التي قدمت اليهم . وكان رد زعماء الحركة الصهيونية على الموقف العنيد الذي اتخذه السلطان عبد الحميد الثاني ضد انشاء الوطن القومي لليهود ، أن اشترك بعض رجالهم في التخلص منه . وهناك من يشير الى الاصابع الصهيونية في الانقلاب العثماني الذي حدث في 1909 م ، والذي أطاح بحكم السلطان عبد الحميد الثاني (1) .

ولكن يبدو أن الدولة العثمانية قبلت أمام الضغوط التي تعرضت لها فكرة اسكان اليهود في بعض مناطق الدولة العثمانية باستثناء فلسطين نفسها (2) ، واذا سلمنا بصحة هذه الفكرة يمكننا فهم العرض الذي تقدمت به الحكومة العثمانية بخصوص ترغيب اليهود في الاقامة في منطقة سرت بتقديم بعض الامتيازات لهم والتسهيلات اللازمة . وكانت منطقة خليج سرت في عهد الرومان ملجأ لكثير من اليهود الذين فروا اليها من منطقة قورينا (شحات) أيام القلاقل والمذابح التي شاهدتها في العهد الروماني ، والتي سبقت الاشارة اليها في الصفحات السابقة . واستطاع اولئك اللاجئون أن يؤسسوا مستعمرة لهم بالقرب من تل اليهودية . وقد ذكر هذا العرض المقدم من السلطات العثمانية الى اليهود الاستاذ ناحوم شلوش في سطور قليلة (3) دون أن يذكر لنا كيف كان هذا العرض ، وما هي ظروفه وملابساته ، وما

(1) صالح مسعود أبو يصير . **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن** . بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة 1389 ـ 1970 ، ص 32 ـ 33

(2) **نفس المصدر** ـ ص 31

(3) Nahum Slouschz: **op. cit. P.** 53.

هو موقف اليهود منه وبالتالى متى قدم هذا العرض ومن الذى قام بتقديمه • واذا كان هذا العرض قد جاء فى إشارة خاطفة قدمها لنا الاستاذ شلوش إلا أنها تعتبر بادرة خطيرة من الحكومة العثمانية للمساهمة فى حل مشكلة اليهود العالمية ، على حساب جزء هام من ليبيا بحكم الموقع الجغرافى لاقليم سرت ، وأهميته بالنسبة لبقية اجزاء ليبيا كحلقة وصل بينها ، فضلا عن أهمية المنطقة المقترحة من حيث الامكانيات الرعوية وتربية الحيوانات ، وما كشف فى المنطقة فى السنوات التالية من ثروة نفطية كبيرة فى المناطق الخلفية لمنطقة خليج سرت . ولم يعلق ناحوم شلوش على هذا العرض العثمانى ولم يذكر موقف اليهود من هذا العرض ، كما أنه لم يذكر موقف السلطات العثمانية فى ليبيا من هذا العرض • ولم يذكر أى صدى لهذا العرض بين أهل البلاد وسكانها . وفى الغالب أن هذا العرض قد جاء فى صورة خاصة على نطاق ضيق . وقد سبق للسلطات العثمانية أن حاولت اسكان بعض رعاياها من الاكراد فى هذه المنطقة دون أى نجاح يذكر . ولا ينسى شلوش أن يذكر لنا أن عدد يهود بلدة سرت كان حوالى خمسين يهوديا فى 1909 (4) •

تلك كانت أول محاولة يذكرها لنا التاريخ الحديث فيما اعلم بخصوص محاولة الدولة العثمانية اسكان بعض اليهود فى منطقة هامة من مناطق ليبيا . أما العرض الآخر الذى تقدمت به الدولة العثمانية لتوطين بعض اليهود فى ليبيا فكان ممثلا فيما اقترحه رجب باشا بحكم منصبه للبلاد كوال عليها (1904 ـ 1909 م) على ناحوم شلوش عند مقابلة الاخير له اثناء زيارته لليبيا فى يوليو 1906 ، وطلبه السماح له بزيارة الجبل الغربى . لقد كانت مقابلة رجب باشا لهذا الرحالة ودية للغاية حتى أنه نصحه بالبدء من الساحل ، حتى لا يجذب اليه التفات الايطاليين الذين كان يصر على رفض السماح لهم بمثل هذه الجولة • كان رجب باشا وديا للغاية فى موقفه من اليهود ، وكان من انصار مشروع الاستعمار اليهودى . وقد دعا رجب باشا هذا الرحالة الى زيارة منطقة مسلاته

(4) **Ibid. P.** 53

التى كان يعتبرها مكانا مختارا للاستعمار الاوربى . وفى هذه الاشارة التى صرح بها رجب باشا توجيه انتباه الرحالة اليهودى الى منطقة مسلاته ، ودراسة إمكانية الاستفادة منها فى توطين اليهود . ونصح رجب باشا ضيفه اليهودى بارتداء الطربوش على الطريقة التركية ، وأن تكون رحلته فى هيئة استاذ مهتم بالتربية اليهودية حتى لا يلفت اليه انتباه المواطنين كثيرا (5) . ومن المعروف أن منطقة مسلاته لا تبعد كثيرا عن البحر الابيض . وهى بحكم قربها من مدينة الخمس البحرية يمكنها الاستفادة منها فى الاتصال الخارجى . هذا ومنطقة مسلاته معروفة بتلالها وكثرة اشجار الزيتون بها .

كان رجب باشا معروفا بعطفه على اليهود واحتضانهم ، بقدر ما كان معارضا للتغلغل الايطالى فى ليبيا ، حتى بلغت معارضته الى درجة المضايقة ، مما دفع ايطاليا الى السعى الى نقله من ليبيا . وقد تحقق هذا النقل فى 1909 على اثر الانقلاب العثمانى الذى أطاح بالسلطان عبد الحميد الثانى . وقد اختاره رجال الاتحاد والترقى الذين قاموا بالانقلاب وزيرا للحربية ولكنه مات يوم تعيينه فجأة . وكانت وفاته خسارة كبيرة لليهود كما يقول ناحوم شلوش (6) .

وكان رجب باشا يتمتع بسمعة طيبة فى البلاد ، وباحترام أهلها لنشاطه الاصلاحى ومواقفه الحازمة من الاطماع الايطالية (7)، وما زال رجب باشا يذكر حتى يومنا هذا بكل خير من المسنين من أهل البلاد الذين عاصروا ولايته واعجبوا بنشاطه . ويبدو أن ميوله نحو اليهود التى اتخذت طابع المساعدة العملية لم تكن ظاهرة لاهل البلاد وقد استطاع إخفاءها ، ولنا فى الارشادات التى قدمها للرحالة ناحوم شلوش للقيام برحلته فى البلاد ما يكشف

(5) **Ibid. P. 44**

(6) **Ibid. P. 95**

(7) احمد صدقى الدجانى . **ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى او طرابلس الغرب فى آخر العهد العثمانى 1982 ـ 1911** . القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة ، شارع الاصبغ بالزيتون . ص 161 ـ 172 .

حقيقة هذه النوايا (8) . ولنا فى المحاولة التى قام بها اليهود للاستيطان فى الجبل الاخضر ببرقة فى عهد ولايته ما يؤكد لنا نواياه الودية نحو اليهود تمشيا مع السياسة العامة التى عرفت بها الدولة العثمانية والتى توارثها العثمانيون منذ بداية نزاعهم مع الاسبان ٠

---

(8) Nahum Slouschz. Op. cit. P. 44.

البعثة اليهودية إلى برقة
يوليو أغسطس 1908

كانت ليبيا فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين البقية الباقية من أملاك الدولة العثمانية فى شمال إفريقية ، بعد أن اقتطعت فرنسا الجزائر فى 1830 وتبعتها باحتلال تونس فى 1881 ، وبعد أن غزت بريطانيا مصر فى صيف 1882 . وكان التنافس الاستعمارى فى افريقية على أشده بين بريطانيا وفرنسا قبل تسوية 1904 . وقد أدى هذا التنافس الشديد بينهما الى تأخير مصير ليبيا وبقائها منطقة عازلة ، بين منطقتى النفوذ البريطانى فى مصر والسودان من جهة ، ومنطقة النفوذ الفرنسى فى الشمال الافريقى من جهة اخرى . وكانت نتيجة هذا التأخير أن أصبحت ليبيا من نصيب ايطاليا بعد أن طال أمر البت فى تقرير مصيرها وبعد أن أخذت حدة التنافس بين بريطانيا وفرنسا فى الهبوط على اثر التسوية التى حدثت بينهما فى 1904 ، والتى اعترفت بمركز بريطانيا فى مصر ومركز فرنسا فى الشمال الافريقى .

وكانت الدولة العثمانية قد بلغت من الضعف ، ما أطمع فيها الجميع ، وأثار عليها أقلياتها ، الى جانب ما كانت تعانيه من ارتباك داخلى نتيجة لسوء الحكم وفساد الادارة . وكانت السلطة العثمانية فى ليبيا مركزة فى مدينة طرابلس وبعض المراكز الساحلية ، وساعد على هذا الوضع الادارى العثمانى فى ليبيا ما كانت عليه البلاد من صعوبة فى المواصلات وبسطة فى المساحة .

وكانت الدعوة السنوسية مشغولة بالخطر الفرنسى ، الذى أخذ يتغلغل فى الصحراء الكبرى بعد الاحتلال الفرنسى للجزائر وتونس ، وقد أخذ هذا الخطر الفرنسى يهدد المناطق الجنوبية فى ليبيا ، بعد أن أخذ الفرنسيون يزحفون من الغرب الى الشرق عبر الصحراء الكبرى ، حتى اصطدموا بالوجود الانجليزى فى وادى النيل عند بلدة فاشودة فى سنة 1898 م.

وفي وسط كل هذه الظروف الدولية وهذه الحالة العامة التى كانت تسود ليبيا وتحيط بها . كانت الدعوة الصهيونية العالمية على أشدها فى أوربا ، وكانت الدعوة الصهيونية الى ايجاد وطن قومى لليهود هى الشغل الشاغل لمفكريهم وأنصارهم . واذا كانت الدعوة الصهيونية العالمية قد ركزت كل جهودها حول الحصول على بلاد فلسطين لتحقيق هذه الأمنية ، فان محاولات متعددة قد بذلت لاختيار مكان آخر لانشاء الوطن القومى لليهود . كانت هناك محاولة لاختيار شرقي افريقية لهذا الغرض ، كما كانت هناك فكرة لاختيار استرالية ، ومحاولة أخرى لاختيار شبه جزيرة سيناء . وهناك أماكن أخرى فكر فيها الصهاينة لتنفيذ مشروعهم مثل كندا وبعض الولايات الامريكية . والغريب أن كل هذه المحاولات قد وجدت عناية واهتماما من الدرس والفهم عند كتاب العرب ومؤرخيهم خصوصا فى معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية فى القاهرة ، ما عدا تلك المحاولة التى قامت بها « منظمة الاراضى اليهودية » بخصوص اختيار ليبيا وطنا قوميا لليهود وفى منطقة الجبل الاخضر بالذات .

ويقول الاستاذ فولز الذى جاء فى بعثة اثرية كشفية مع ابن عمه الاستاذ كوفمان الى مصر فى اوائل القرن العشرين ، أنه كانت هناك فكرة لتوطين يهود روسيا فى منطقة الحمام بمريوط بصحراء مصر الغربية (1) فى عهد الخديوى عباس الثانى وفى أوائل القرن العشرين ، وقد اكتشفت هذه البعثة آثار « أبو مينا » المسيحية فى مريوط .

عندما جاء السير هارى ه. جوهنستون SIR HARRY H. JOHNSTON قنصلا عاما لبريطانيا فى مدينة تونس فى أواخر 1897 م ، قام بزيارة مدينة طرابلس الغرب فى 1898 للاجتماع بزميله المستر جاجو JAGO القنصل البريطانى فى مدينة طرابلس ، لبحث بعض المسائل المتعلقة بالقنصليتين فى

---

(1) J. C. Ewald Falls, **Three Years In The Libyan Desert.** London 1913, P. 335.

البلدين ، الى جانب رغبته فى الاطلاع على الاحوال السائدة فى الجنوب التونسى . ويعطى السيد هارى هـ جوهنستون وصفا مختصرا ولكنه رائع لاستقبال زميله له فى مدينة طرابلس ، ونظام حياة القنصل البريطانى فيها ومقر اقامته بها (2) .

والسيد هارى هـ جوهنستون من اسرة يهودية ، وهو من مواليد مدينة لندن فى 1858 ، وهو أيضا رحالة مشهور بمؤلفاته الكثيرة عن افريقية وأوضاعها الجغرافية السياسية . وقد أصبح فيما بعد رئيسا للجمعية الجغرافية الملكية بلندن ، وقد أعطى بعض الاهتمام للحديث عن اليهودية واليهود بصفة عامة فى كتابه « قصة حياتى » THE STORY OF MY LIFE . وفى هذا الكتاب أشار باختصار الى أوضاع اليهود فى تونس ولكنه لم يتعرض فى كتابه هذا الى يهود ليبيا أثناء زيارته لمدينة طرابلس . وكانت هذه الزيارة فى أواخر عهد ولاية سليمان نامق باشا (1896 ـ 1898) .

ولا شك أن السيد هارى هـ جوهنستون قد ألم بأوضاع ليبيا وأحوالها اثناء زيارته القصيرة لزميله القنصل البريطانى فى مدينة طرابلس . وقد ترك البلاد وهو يحمل فى ذهنه فكرة الاستفادة من ليبيا كوطن قومى لليهود . ولهذا نراه يتصل بالمسؤولين فى « منظمة الاراضى اليهودية » بلندن ، والتى كان يترأسها اليهودى الكبير اسرائيل زانجويل ISRAEL ZANGWILL ويقترح على المنظمة فكرة انشاء الوطن القومى لليهود فى ليبيا وفى منطقة الجبل الاخضر فى برقة . يستدل على ذلك من المقدمة التاريخية والسياسية التى كتبها اسرائيل زانجويل فى الكتاب الذى تضمن تقارير البعثة التى أرسلتها « منظمة الاراضى اليهودية » لفحص المنطقة المقترحة لتوطين اليهود فى برقة . وقد ضمن اسرائيل زانجويل مقدمته بعض فقرات من خطاب وجهه اليه الدكتور ناحوم شلوش . وقد حوت هذه الفقرات الاشارة الى السيد هارى هـ

---

(2) Sir Harry H. Johnston. The Story of My Life. Indianapolis : The Bobbs - Merrill Company. P. 320.

جوهنستون والاقتراح الذى تقدم به فى هذا الخصوص (3) . وهكذا جاءت فكرة انشاء الوطن اليهودى فى بـرقة من بريطانيـا وقـد احتضنتها « منظمة الاراضي اليهودية » فى لندن .

وفى 1905 كان الاستاذ ناحوم شلوش قد بدأ نشاطه فى دراسة تاريخ يهود المغرب الاقصى . وقد دفمته المعلومات التى وصل اليها فى هذا الخصوص الى اعطاء اهتمامه لدراسة الاصـول التـاريخية لمجموعات مختلفة من يهود افريقية والى دراسـة اليهـودية بصفة عامة فى حوض البحر الابيض (4) المتوسط . وقد تطلب منه هذا النشاط العلمى القيام بعدة رحلات عبر الشمال الافريقى لزيـارة الكثير من الاماكن ذات القيمة التاريخية التى لها عـلاقة بتاريـخ يهود افريقية . ولهذا الغرض بدأ الاستاذ ناحوم شلوش رحلاته فى يوليو 1906 حتى نوفمبر من السنة نفسها .

جاء ناحوم شلوش لاول مرة الى مدينة طرابلس يـوم 10 يوليـو 1906 وفى عهد ولاية رجب باشا الذى مكنه من زيارة ليبيا ودراسة احوال اليهود فيها (5) ، وقد غادر ليبيا الى تونس مـارا بجزيـرة جربة ، وفى 1908 م عاد ناحوم شلوش للمرة الثانية كعضـو فى البعثة التى نظمها اسرائيـل زانجويـل رئيس « منظمـة الاراضى اليهوديـة » والتى عهد برئاستهـا الى الاستـاذ ج. و. جريجـورى J. W. GREGORY الاستاذ بجامعة جلاسجـو GLASGOW لانشـاء وطن قومى لليهود فى برقة بموافقة السلطات العثمانية فى ولايـة طرابلس الغرب .وقد اعطته هذه المناسبة فـرصة عبـور الجبـل الاخضر كله حيث شاهدت المنطقة فصـولا من التـاريخ القـديم لليهـود .

وقد أتيحت للاستاذ ناحوم شلوش فرصة ثالثة لزيارة افريقية

(3) Report on The Work of The Commission sent out by the Jewish Territorial Organization Under the Auspices of the Governor - General of Tripoli To Examine The Territory Proposed For The purpose of A Jewish Settlement In Gyrenaica. London: J. To Offices, King's Chambers, Portugal Street. Jan. 1909. P. vii, P viii

(4) Nahum Slouschz, Op. cit. P. V.

(5) Ibid. P. VI.

ولكنه في هذه المرة لم يأت الى ليبيا بل كان نشاطـه محصورا فى تونس عندما كلفته كلية الآداب بجامعة باريس بالذهاب الى أطلال قرطـاج لجمـع بعض المستنـدات التي تعـود الى العهـد الفينيقي القديم . وقد اتاحت له هذه المنـاسبة فرصـة الاتصـال بيهـود تونس ، واعطاء بعض المحاضرات التى لها علاقة بتاريـخ اليهـود وأحـوالهم ٠

وبعد ذلك ذهب ناحوم شلوش الى الولايات المتحدة الامـريكية حيث قام باعطاء سلسلة من المحاضرات فيما بين 1911 و 1912 ٠ وعاد بعد ذلك الى المغرب الاقصى فى 1912 بعد الاعتداء الفرنسي على بلاد المغرب ، وقد ساهم فى خدمة النظام الفـرنسى الجـديد هناك بعد الاحتلال الفرنسى للمغرب الاقصى . وكان من أنصـار هـذا الاحتـلال ومؤيديـه كمـا يظهـر لنـا من مقدمة كتابه (6) ٠ واستطاع ناحوم شلوش اثناء اقامته فى بلاد المغـرب الاقصى أن يقوم بخدمة اليهود ٠ وبقى هناك حتى قيام الحرب العـالمية الاولى مما مكنه من التجول فى أنحاء المغرب الاقصى والاطلاع على البـلاد بمـا فى ذلك مناطق جبال الاطلـس . وقام باعطـاء محاضـرات فى المدرسة العليا بالربـاط . وفى 1916 قام بوضع خطة لتنظيم يهود المغرب الاقصى بناء على طلب من قائد جيش الاحتلال الفرنسى ٠

وقام ناحوم شلوش بنشـر خـلاصة دراساتـه ليهـود شمـالى افريقية وأوضاعهم فى كتاب له فى 1927 باسم « رحلات فى شمالى افريقية » ، وقد جاء هذا الكتاب غنيا ببعض المعلومـات المتضاربة مع خطأ فى بعض التواريخ لخطأ فى الطبـع أو نتيجـة للاهمـال . والملاحظ أن المؤلف فى كتابه المشار اليه كان غير دقيق فى إعطاء بعض المعلومات . وقد لفت نظرى الى هذه الحقيقـة الاستـاذ صالـو و٠ بارون الاستاذ بالدراسات العليا بكلية العلوم السياسية فى جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك ٠

بقى أن نقول ان الاستاذ ناحوم شلوش من مواليد 1872 حسب ما جاء فى فهرس مكتبة بتلـر بجـامعة كولومبيـا . وقد افادنى

---

(6) Ibid. P. VIII

الاستاذ بارون في 1958 أن الاستاذ ناحوم شلوش كان لا يزال حيا يرزق في فلسطين المحتلة ·

وكان من نتيجة زيارته الاولى لمدينة طرابلس في يوليو 1906 في ولاية رجب باشا وما وجده من عناية ورعاية من السلطات العثمانية في طرابلس أن قام بالاتصال باسرائيل زانجويل بعد عودته الى باريس . وقد نقل اليه انطباعاته عن تلك الزيارة وما شاهده في ليبيا ومدى استعداد السلطات العثمانية لقبول فكرة إنشاء وطن يهودي في ليبيا ·

وبناء على ما تقدم به السيد هاري هـ· جوهستون من اقتراح بخصوص فكرة إنشاء وطن لليهود في ليبيا ، وما كتبه الاستاذ ناحوم شلوش في هذا الخصوص قامت « منظمة الاراضي اليهودية » برئاسة إسرائيل زانجويل بارسال بعثة علمية الى مدينة طرابلس ومنها الى منطقة الجبل الاخضر لدراسة امكانية تحقيق هذه الفكرة . وكانت رئاسة البعثة للاستاذ ج· و· جريجوري استاذ الجيولوجية بجامعة جلاسجو البريطانية . وكان جون تروتير JOHN TROTTER عضوا بالبعثة · وقد كان زميلا بالجمعية الزراعية للاراضي المرتفعة في اسكتلندة ومديرا مساعدا سابقا للمجلس الزراعي بالسودان ، وقد كانت مهمته في البعثة دراسة الاوضاع الزراعية ببرقة وهو الذي أعد التقرير الخاص بالجانب الزراعي في الكتاب ·

وضمت البعثة كلا من ريجنالد إ· ميدلتون REGINALD E. MIDDLETON وولتر هنتر WALTER HUNTER وماثيو ب· دف MATHEW B. DUFF . وقد اشترك هؤلاء الثلاثة في دراسة الموارد والامكانيات الهندسية لبرقة واعداد التقرير الخاص بهذه الناحية في الكتاب . وكان من بين أعضاء البعثة الدكتور م· د· كيدر M.D. KEDER وهو الذي قام بدراسة الاحوال الصحية في برقة وصلاحيتها لاقامة اليهود من الوجهة الصحية . وقد أعد التقرير الصحي الذي جاء في هذا الكتاب ·

أما الدكتور ناحوم شلوش الذي مهد لقدوم هذه البعثة

باتصالاته التي قام بها مع رجب باشا في زيارته الاولى للبلاد ، وبالمسؤولين في « منظمة الاراضي اليهودية » ، فقد جاء ضمن هذه البعثة كعضو أساسي لدراسة الخلفية التاريخية لليهودية واليهود في برقة كأساس لقيام الوطن اليهودي في برقة . وقد أعد ناحوم شلوش ملحقا تاريخيا لتغطية هذا الجانب في آخر الكتاب .

وقد تعمدت « المنظمة » أن يكون معظم أعضاء البعثة من عناصر غير يهودية ، حتى يمكن الوصول الى الحقائق المطلوبة ، دون أن تكون عرضة للطعن فيها ما لو كان أعضاء البعثة من اليهود . واكتفت « المنظمة » باختيار عنصر يهودي واحد ضمن أعضاء البعثة ، وهو الدكتور ناحوم شلوش ، لسبق خبرته بالموضوع ولتوضيح أهداف البعثة لرجب باشا وابعاد أي شك يثيره مجيء البعثة عند أهل البلاد ، الذين كانوا دائمي الارتياب في أعمال المغامرين البريطانيين . وقد اعتمدت البعثة في عضويتها على البريطانيين (7) .

وقبل أن تقوم « منظمة الاراضي اليهودية » بارسال بعثتها الى برقة طلبت من اللجنة الجغرافية التابعة لها ، عمل الدراسات اللازمة للتحقق من امكانية الاستفادة من برقة كوطن قومي لليهود . وأمضت هذه اللجنة مدة سنتين في الدراسات الاولية في هذا الخصوص . وكان من أعضاء هذه اللجنة الجغرافية الاستاذ أوسكار ستراوس OSCAR STRAUS ، الذي اعترف منذ البداية بأن برقة لم تكن معروفة لديه (8) . وقد علق اسرائيل زانجويل رئيس المنظمة على هذا الاعتراف بأن برقة لم تكن معروفة لمعظم أعضاء مجلس المنظمة قبل أن تبدأ تحقيقاتها ، ويتأكد لديها ما يبعث على توقع نتائج طيبة من هذه الدراسات المطلوبة . ويقول زانجويل ايضا : إنه يكفي أن تكون برقة ليست بعيدة عن روسيا ورومانيا ، حيث كان اليهود هناك يعانون الكثير من الاضطهاد ، الامر الذي جعل « منظمة الاراضي اليهودية » تجد في بحثها عن بلاد تصلح أن تكون وطنا لهؤلاء اليهود الفارين من متاعب الحياة

---

(7) تقرير البعثة ص × .

(8) Ibid. P. V

في روسيا ورومانيا . وبالاضافة الى موقع برقة الجغرافي بالنسبة الى روسيا ورومانيا ، فهي ليست بعيدة عن فلسطين حيث تتجه قلوب اليهود .

ويسلم اسرائل زانجويل بجمال معالم برقة التى أكدتها جميع المصادر ، والتي أشادت بماضيها القديم وتربتها ومناخها ومناظرها الخلابة ، حتى أن القدماء تخيلوا أن جنات هسبريدس الخرافية عند الاغريق GARDEN OF THE HESPERIDES كانت موجودة في منطقة برقة (9) ، ولكنه اعتقد أن الاوضاع التى آلت اليها برقة جاءت نتيجة للاهمال الطويل بالاضافة الى سوء الادارة التركية للبلاد . وأن هذه الحالة السيئة التي آلت اليها برقة يمكن اصلاحها بتوفير رأس المال اللازم ، والعمل المستمر والعلم الحديث . وهذا ما يمكن أن توفره المنظمة اليهودية . ولكى يؤكد زانجويل هذه الآراء التى قالها اعتمد على ما اقتبسه من انطباعات للاستاذ موردخ سمث MURDOCH SMITH كان قد سجلها في رسالة منه الى اللورد جون رسل LORD JOHN RUSSELL ، وكلها تشيد بالمزايا التى كانت تتمتع بها برقة من جمال في طبيعة أرضها ، وقلة في عدد سكانها بالنسبة لرقعتها الواسعة ، وصلاحية تربتها للزراعة مع أن سكانها لا يحرثون من الارض الا مساحة صغيرة منها . وفي فصل الشتاء عندما تهطل الامطار بكثرة يأتى محصول القمح بكميات كبيرة . هذه هي أهم النقاط التى ركز عليها موردخ سمث في رسالته السابقة الذكر ، والتى انتبه اليها رئيس المنظمة اليهودية ليلفت اليها انتباه أعضاء منظمته للتدليل على أهمية برقة.

ولا يكتفى إسرائيل زانجويل بالانطباعات التى سجلها موردخ سمث عن برقة ، حتى يهتم أعضاء المنظمة بفكرة الاستفادة من برقة في تأسيس الوطن القومي لليهود ، بل استعان في سبيل هذه الغاية ايضا بما سجله الكاتب الانجليزى موري MURRAY في كتابه « دليل البحر الابيض المتوسط » HANDBOOK TO THE MEDITERRANEAN ، الذى جاء خلاصة لمشاهداته الشخصية ، والتحقيقات التى قام بها بنفسه غير معتمد

(9) Ibid.

على الكتب وحدها . وفي هذا الكتاب الذى أصدره مورى قسم خاص بعنوان « رحلة فى برقة » . وقد قدم المؤلف لهذا القسم بوصف لبلدة المرج (القديمة) ، وما يحيط بها من تلال خضراء ومراع مع توفر مياه المطر فيها ، والمناخ الصحى المنعش حتى فى شهور الصيف ، الى غير ذلك من المميزات التي تقف الى جانب ما كان إسرائيل زانجويل ينويه من تفكير فى الاستفادة من الاوضاع السائدة فى برقة لتحقيق أمنية الوطن القومى لليهود .

ويستمر زانجويل فى الاستشهاد بآراء بعض الكتاب والمؤلفين الذين أجمعوا على أهمية برقة ومن بينهم الدكتور جوتهولد هيلدبراند DR GOTTHOLD HILDEBRAND الالمانى الذى نشر مع زميله تيوتونيك TEUTONIC ، خلاصة لمعلومات علمية للمنطقة بعنوان « برقة كاقليم لمستقبل الاستعمار ، ALS GIBIET KUNFTIGER BESIEDELUNG CYRENAICA AS A REGION OF FUTURE COLONISATION والتى قال فيها المؤلفان : إن برقة فى امكانها أن تستوعب الملايين من البشر الاوربيين (10) ، واستشهد زانجويل أيضا ببعض فقرات مما كتبه الاستاذ تيوبالد فسكر THEOBALD FISCHER والتى أبرزت أهمية برقة من الناحية التاريخية والجغرافية ، والامكانيات الاقتصادية ، وما يمكن الاستفادة منه باستغلال مواردها (11) . وكان آخر من استشهد به زانجويل ما كتبه الرحالة الايطالى السيناتور جاكومو دي مارتينو GIACOMO DE MARTINO ، الذى زار البلاد فى شهرى يونية ويوليو 1907 ، والذى نشر كتاب رحلته فى 1908 م . وقد اعتمد زانجويل على بعض الفقرات التى اوردها هذا الرحالة الايطالى والتى تظهر أهمية برقة بعمل مقارنة بين احوالها فى عصورها القديمة وفي العهد العثمانى (12) .

وهكذا قام اسرائيل زانجويل ، بصفته رئيسا « لمنظمة الاراضى اليهودية » ، بجمع كل ما كتبه الرحالة والكتاب الاوربيون عن

(10) Ibid. VI
(11) Ibid.
(12) Ibid.

امكانية الاستفادة من برقة اذا توفر استخدام العلوم الحديثة فيها متبينا النداء الذى صرح به دى مارتينو بعد رحلته التى قام بها الى برقة فى صيف 1907 « هذه برقة الجميلة حسنة الحظ فى طبيعتها ولكنها سيئة الحظ للغاية بحكومتها ! » (13) .

واذا كان الكتاب والرحالة الاوربيون قد أجمعوا على توفر الامكانيات الطيبة للاستعمار الاوربى بصفة عامة ، إلا أن زانجويل كان يرى فى برقة هدية إلاهية للاستعمار اليهودى بصفة خاصة . ويؤيد زانجويل وجهة نظره هذه بما قاله الدكتور بول ناثان PAUL NATHAN عندما أخذ يستعرض المقترحات المختلفة التى قدمت بخصوص تأسيس الوطن القومى لليهود . وقد فضل بول ناثان اختيار برقة لهذا الغرض عن بقية البلاد الاخرى المقترحة لتنفيذ خطة الوطن القومي لليهود . كان بول ناثان يرى أن برقة صالحة للاستعمار من جميع الوجوه اسوة ببعض المناطق الاخرى المقترحة ، ولكنها تفضلها من حيث الموقع الجغرافى وتبعيتها للسيادة العثمانية الآخذة فى التلاشى (14) . وكان بول ناثان يرى فى هجرة اليهود من شرقى أوربا فى ذلك الوقت ، محور التفكير فى انشاء هذا الوطن القومي اليهودى لحل مشكلة أولئك اليهود اللاجئين الذين كان فى امكانهم الوصول الى برقة بنفقات قليلة مع قصر الزمن اللازم لوصولهم (15) .

وكان بول ناثان يفضل برقة ، لأنها الى جانب ما كانت تتمتع به من صفات تجعلها تفضل بقية البلاد المقترحة ، فهى بحكم قربها من اوربا تجعل الاتصال ميسورا بين اليهود في وطنهم الجديد بالثقافة الاوربية بصفة عامة واليهودية الاوربية بصفة خاصة . هذا وقرب برقة من أوربا يعطى اليهود فيها دفاعا ضد أى عنف قد يتعرضون له فى وطنهم الجديد (16) .

هكذا استطاع رئيس « منظمة الاراضى اليهودية » أن يجمع كل

---

(13) Ibid. VII

(14) Ibid.

(15) Ibid.

(16) Ibid.

الآراء التي أدلى بها العلماء لتأييد فكرة انشاء الوطن القومي لليهود في برقة . وقد ركز على أهمية موقع برقة بصفة خاصة من حيث قربها من روسيا ورومانيا اللتين كانتا تعتبران أهم مراكز اضطهاد اليهود في ذلك الوقت ، مما اجبر يهودها على الفرار الى خارجها . وبرقة تقع على البحر الابيض المتوسط الطريق المائي الهام للمواصلات العالمية . وهي لا تبعد كثيرا عن فلسطين . ولبرقة ارتباطات تاريخية قديمة بالديانة اليهودية ونشاط اليهود فيها . وقد سبقت الاشارة الى كل ذلك في الصفحات السابقة . وهي أكثر اتصالا بتاريخ اليهود مما كان لجزيرة قبرص مثلا أو غيرها من البلاد الاخرى المقترحة كوطن قومي لليهود · هذا وبرقة في نظر إسرائيل زانجويل تفضل فلسطين نفسها في تحقيق الوطن القومي لليهود ، لانها غير مقدسة عند المسلمين والمسيحيين ، كما هي الحال بالنسبة لفلسطين التي تتنافس في تقديسها الاديان السماوية الثلاثة . وفي فلسطين تتنافس الفرق اليهودية الكثيرة ، الشيء الذي لم تكن تعرفه برقة . وفي رأيه أيضا أن اختيار برقة يفضل على اختيار فلسطين من حيث قلة السكان الاصليين ، الشيء الذي يسمح باستيعاب عدد أكبر مما تستوعبه فلسطين من اليهود اللاجئين . ولبرقة أراض داخلية واسعة تعطي فرصة أكثر لايواء اليهود · وليبيا بمساحتها الكبيرة كانت لا تضم الا مليونا من السكان أو نحو ذلك ، مما يساعد على غلبة النفوذ اليهودي وضمان تفوقه بطريقة سهلة نسبيا باتباع سياسة تشجيع هجرة اليهود الى ليبيا بثبات ومثابرة (17) ·

وكانت « منظمة الاراضي اليهودية » تعطي اهتمامها للاطماع التي أبدتها ايطاليا في الاستيلاء على ليبيا . وكانت هذه المنظمة تتابع باهتمام الموقف التركي من تلك الاطماع الايطالية . وكانت خطة المنظمة تعتمد على الهجرة وضمان الاستيلاء على البلاد بالطرق السلمية ، التي تعتمد على النشاط الاقتصادى دون الاعتماد على السفن الحربية التي تحملهم الى البلاد كغزاة فاتحين ، الشيء الذى كانت تنويه ايطاليا في تحقيق مشروعها التوسعي في ليبيا . وقد

---

(17) **Ibid.**

اثار الرحالة الايطالي السناتور دى مارتينو اهتمام المنظمة برحلته التى قام بها فى برقة فى صيف 1907 ، وبما نشره فى كتابه الذى جاء شاملا لرحلته وانطباعاته عنها . وكان دى مارتينو يهدف الى اثارة الايطاليين وتحميسهم لمنافسة الانجليز والفرنسيين فى الاستيلاء على ما بقى للدولة العثمانية من أملاك فى القارة الافريقية.

وكانت « منظمة الاراضى اليهودية » تخشى الاطماع الانجليزية فى برقة التى تحد مصر من الشرق . وكانت بريطانيا قد احتلت مصر فى صيف 1882 وان ظلت تعترف بتبعيتها الاسمية للسلطان العثمانى ، حتى قيام الحرب العالمية الاولى فى صيف 1914 عندما اعلنت حمايتها على مصر . ولم تكن الاطماع البريطانية فى برقة شيئا خافيا وإن لم تكن فى حدة الاطماع الايطالية. كانت بريطانيا تفكر فى انشاء خط سكة حديدية بين السويس على البحر الاحمر وأحد موانى برقة على البحر الابيض المتوسط ، لتقليل زمن الرحلة من لندن الى بومباى فى الهند عن طريق مارسيليا بأربع وعشرين ساعة (18) ، وقد راجت الاشاعات حول اتفاق بريطانيا والمانيا على ضم برقة الى مصر فى مقابل تسوية مسألة خط سكة حديد بغداد وميناء الاسكندرونة لصالح المانيا ، مما أدى الى انزعاج ايطاليا ، ومقابلة سفيرها فى لندن للسيد ادوار جرى رئيس وزراء بريطانيا ، لاستجلاء الحقيقة حول بعض النقط الرئيسية التى تهم السياسة الايطالية ، ومن بينها اشاعة ضم برقة الى مصر ، التى كذبها رئيس الوزراء البريطانى (19) .

ولكن مخاوف « منظمة الاراضى اليهودية » من الاطماع البريطانية فى برقة لم تكن فى مستوى مخاوفها من الاطماع الايطالية . كانت المنظمة اليهودية لا تتوقع من وزارة خارجية بريطانيا أن تعبر عن رأيها الرسمى بخصوص مثل هذا الموضوع الحساس ، ولكنها كانت على ثقة من عطف مجلس الوزراء فى

---

(18) **Ibid. P. IX.**

(19) G. P. Gooch and Harold Temperley, ed., **British Documents on the origins of the War 1898-1914. Vol IX The Balkan Wars, Part I. The Prelude ; The Tripoli War. London : His** Majesty's Stationery Office ; 1933. P. 412.

بريطانيا على فكرة توطين اليهود فى وطن قومى خاص بهم ، سواء فى شرقى افريقية أو فى أى مكان آخر يختار لهذا الغرض (20) .

والواقع أن « منظمة الاراضى اليهودية » التى كانت تخشى المنافسة الايطالية فى الاستيلاء على ليبيا ، كانت قد بدأت فى العمل على تحقيق مشروعها اليهودى فى برقة قبل أن يبدأ الرحالة الايطالى دى مارتينو رحلته فى برقة بعدة شهور . كانت هناك مراسلات متبادلة بين ولاية طرابلس الغرب و « منظمة الاراضى اليهودية » فى لندن عن طريق أحد اعضاء المنظمة وهو الدكتور ناحوم شلوش ، الذى قادته تحقيقاته التاريخية الى ليبيا لاول مرة فى 1906 . كانت اتصالات المنظمة بالمشير رجب باشا والى طرابلس الغرب الذى كان بحكم رئاسته للقوات التركية فى افريقية قد تحصل تقريبا على كل سلطات نائب السلطان فى البلاد (21) ، وانتهز اسرائيل زانجويل فرصة زيارة شلوش لمدينة طرابلس ودرس معه الاقتراح الذى ابداه السيد هارى جوهنستون بشأن امكانية انشاء وطن قومى لليهود فى برقة لايواء المهاجرين منهم من روسيا ورومانيا . وبمجرد وصوله الى مدينة طرابلس ، قام بمقابلة رجب باشا والى الولاية وبكير بك الكاتب العام للولاية ، وناقش معهما الاوضاع الاقتصادية ليهود ليبيا ، وامكانية تطوير نشاطهم الزراعى باعطاء الفرصة لايواء اليهود الفارين من روسيا فى ولاية طرابلس الغرب (22) .

ويؤكد ناحوم شلوش أن رجب باشا ابدى روحا ودية نحو الشعب اليهودى . وأكد له رجب باشا استعداده لعمل كل شيء فى استطاعته لتحرير اليهود مما كانوا يعانونه . ويبدو أن رجب باشا كان فى عطفه على يهود روسيا متأثرا بالعلاقات غير الودية التى طبعت العلاقات التركية الروسية ، والتى جعلت الاتراك يعيشون فى خوف مستمر من الاطماع الروسية . وكان هناك عامل آخر ساهم فى تسهيل مهمة شلوش عند رجب باشا وهو وجود

(20) تقرير البعثة ص IX
(21) Ibid. P. viii
(22) Ibid.

يعقوب كريجر JACOUB KRIEGER في منصب الترجمان العام للولاية . وكان يعقوب كريجر يهوديا (23) . وقد قدم الى طرابلس من سالونيك ليحل محل جرجس فائق المسيحي العقيدة والكاثوليكي المذهب . ومع أن حكومة الولاية لم ترحب بمجيء يعقوب كريجر في أول الامر لخوفها من تعاونه مع الاجانب ، شأن كل اليهود الذين كانوا يعيشون في ولاية طرابلس الغرب والذين كانوا يحملون جنسيات اجنبية (24) حتى يستفيدوا مما كان للاوربيين من امتيازات خاصة في الدولة العثمانية ، إلا أن يعقوب أفندي استطاع بمهارته الخاصة ان يستحوذ على رضاء الباشا ويفوز بثقته ، مما مكنه من تقديم الكثير من الخدمات لبني دينه . وفي مقدمتهم الرحالة ناحوم شلوش ، واستطاع هذا الرحالة اليهودي بفضل السياسة الودية التي اتبعها رجب باشا نحو اليهود ومساعدة رجال حكومته أن يقوم بالتجول في البلاد . وقد قدمت حكومة الولاية كل التسهيلات اللازمة للرحالة اليهودي ، بل ذهب الباشا نفسه ورجال ولايته بنصح الرحالة بزيارة منطقتي مسلاته والجبل الغربي في داخل الولاية واستكشاف امكانياتهما للاستيطان اليهودي قبل الذهاب الى برقة من أجل المهمة نفسها . وكان رجال الولاية يرون امكانية الحصول على الامتيازات المطلوبة بسهولة أكثر في منطقتي مسلاته والجبل الغربي منها في برقة (25) .

ونتيجة لموقف رجب باشا من مشروع الاستيطان اليهودي في ليبيا ، نجد الدكتور ناحوم شلوش واسرائيل زانجويل يبديان اعجابهما به ويشيدان بوطنيته وحنكته كرجل دولة من الطراز الاول (26) . ولم ينس رجب باشا ان يصرح للدكتور ناحوم شلوش باستحالة تحقيق أماني اليهود بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين . وكتب يعقوب كريجر الترجمان العام للولاية الى ناحوم شلوش يخبره بأن الاقتراحات التي تقدم بها زعيم الصهيونية

---

(23) **Ibid.**
(24) احمد صدقي الدجاني . **المصدر السابق** . ص 167
(25) تقرير البعثة ص VIII
(26) **Ibid.**

الدكتور هرتزل Dr Herzl الى السلطان عبد الحميد ، بخصوص السماح لليهود بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين قد رفضها السلطان . ويعود يعقوب كريجر فى رسالته ويذكر أن اليهود والاتراك يمكنهم أن يتبادلوا المنفعة فى ولاية طرابلس الغرب (27) .

وتوجد فى دار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس وثيقة تاريخية هامة ، تتضمن صورة المنشور الذى عممته وزارة الداخلية فى حكومة الباب العالى بتاريخ 29 نوفمبر سنة 1900 على جميع متصرفيات الدولة العثمانية ، بخصوص « التقرير الذى بعثت به متصرفية القدس الى وزارة الخارجية ، بشأن القرارات التى اتخذتها الدولة العثمانية ، لمنع توطين اليهود القادمين من الخارج بحجة الزيارة للاراضى الفلسطينية التى أسىء تاويلها بالاضافة الى ما طرأ من فتور فى تنفيذها واهمال لوسائل الرقابة التى كانت مفروضة عليه ، مما مكن بعض الداخلين منهم بحجة الزيارة من التوطن . إن وزارة الداخلية تؤكد عدم سماحها بوجه من الوجوه بدخول مهاجرين يهود الى الاراضى الفلسطينية بقصد التوطن . وتلح بشدة على الاستمرار فى تطبيق التعليمات لمنع الهجرة وستتخذ الاجراءات الصارمة لمعاقبة كل موظف يتهاون فى هذا الامر . ومع هذا فان اليهود العثمانيين والاجانب الذين يقصدون المقامات المقدسة لاجل الزيارة افرادا وجماعات ، لا يمنعون من زيارتها بشرط مراعاتهم للتعليمات الخاصة بالزيارة وموادالاقامة المؤقتة بفلسطين .

إن الدولة العثمانية لا تسمح ابدا فى أى حال من الاحوال ولا لسبب من الاسباب توطين اليهود فى الاراضى المقدسة . وقد بلغ هذا القرار لجميع سفراء الدول والقنصليات الاجنبية بواسطة وزارة الخارجية ، مرفقا بالتعليمات الخاصة بزيارة اليهود لاراضى فلسطين . وهى القرارات التى أقرها مجلس الوزراء ومجلس الشيوخ فى 5 تشرين الاول 1316 الموافق 18 اكتوبر 1900 ، وصدرت ارادة مقام الخلافة فى تنفيذها ، والتى نرفق لحضرتكم

(27) Ibid.

صورة منها لمراعاة تطبيق موادها فى الولاية وملحقاتها » (28) ·

ومع هذه الوثيقة وثيقة اخرى تضمنت التعليمات التى أصدرتها الدولة العثمانية ، لتنظيم عملية زيارة اليهود للاراضى الفلسطينية ، وقام بتعميم ما جاء فى هاتين الوثيقتين التاريخيتين المشار اليهما هنا والى طرابلس الغرب محمد حافظ (1900 ـ 1902 م) على الادارات الداخلية فى البلاد لمراعاة ما جاء فيهما من تعليمات ·

كان رجب باشا واقفا بالمرصاد للاطماع الايطالية فى ليبيا . وقد أثاره ما كتبه الرحالة الايطالى دى مارتينو ، بخصوص تشجيع ايطاليا على اتخاذ الخطوات اللازمة للاستيلاء على البلاد . وكان هذا عاملا آخر جعل رجب باشا يرحب بالنشاط اليهودى واحتضانه حتى يتخذ منه وسيلة لايقاف الاطماع الايطالية . ويقول ناحوم شلوش : إن رجب باشا لم يقف فى دراسته لمشروع الاستيطان اليهودى فى ليبيا عند دراسة النشاط الزراعى لليهود فى البلاد ، ولكنه ذهب فى تفكيره الى أبعد من هذا باثارة تطوير تجارة الولاية وصناعاتها ، مما كان يطالب به السنيور دى مارتينو . لقد اثار رجب باشا بعض المشروعات الهندسية فى البلاد وانشاء الموانى الكبيرة بها وبناء اسطول تجارى يهودى فى البحر الابيض المتوسط (29) . ولم يتعرض ناحوم شلوش فى بحثه للمشروع اليهودى مع الباشا ورجال ادارته الى ناحية تمتع اليهود بالحكم الذاتى فى مشروعهم الاستيطانى ، ولكن البحث تناول الاستقلال المالى والدينى لليهود بطريقة تضمن لهم الحماية من تعسف صغار الموظفين ، وتضمن لهم عمليا اقامة حكومة ذاتية مع اعطائهم الحماية العسكرية ضد اى عدوان قد يتعرضون له من أهل البلاد ، مع ترك بقية اجزاء الولاية لحالها كما هى ·

ولم يقدم رجب باشا المشروع اليهودى رسميا الى حكومته فى اسطنبول ، ولكن ما ابداه رجب باشا من حماس للفكرة اعتبرته المنظمة اليهودية بادرة طيبة من حكومة تركيا . وكانت حكومة

---

(28) طرابلس الغرب . عدد 452 ، 1963/12/19 .
(29) تقرير البعثة . ص VIII

الولاية حريصة على تحقيق المشروع اليهودى . ولهذا تراها تقوم بملاحقة المشروع فى الوقت الذى لم تتحمس فيه انجلترا وتقوم فيه بالاجراء السريع (30) ، ويبدو أن حرص حكومة الولاية قد جاء نتيجة لما كانت تتعرض له من ضغوط ايطالية ، ولما كانت تخشاه من استجابة حكومة الباب العالى للمطالب الايطالية . وقد تحققت بعض هذه المخاوف عندما نجحت المساعى الايطالية فى فتح فرع لمصرف روما BANCO DI ROMA فى مدينة طرابلس فى بداية 1907 وممارسة نشاطه الاقتصادى فى خدمة الاطماع الايطالية . وكانت الدوائر الايطالية قد انزعجت للاخبار التى وصلتها بخصوص اعطاء امتياز لمنظمة الاراضى اليهودية بفتح مصرفين احدهما فى مدينة طرابلس والآخر فى مدينة بنغازى (31) ، وإن كان هذان المصرفان لم يكتب لهما الوجود . واثار النجاح الذى تحصلت عليه ايطاليا بفتح فرع لمصرف روما فى مدينة طرابلس مخاوف « منظمة الاراضى اليهودية » ، ولكن هذه المخاوف تبددت نوعا ما عندما اعلنت الحكومة الايطالية فى البرلمان الايطالى فى اليوم الرابع من شهر يونيو 1908 احترام ايطاليا للاملاك العثمانية ، وأنه ليس لديها أى خطط توسعية فى ولاية طرابلس الغرب (32) . وقد علق اسرائيل زانجويل على هذا التصريح الايطالى بأن مهمة احياء برقة التى تسعى اليها ايطاليا من توسعها فى ليبيا ، يمكن أن تتحقق على أيدى المستوطنين اليهود اذا اعطيت لهم الفرصة ، وهم الذين لا يملكون شبرا واحدا من الارض فى أى مكان من العالم ولا قوة عسكرية تحميهم (33) .

وكانت خطة توطين يهود روسيا فى ليبيا تقوم على أساس الاسراع فى إخراجهم من روسيا فى جماعات صغيرة تضم عشرة أو عشرين اسرة يهودية كل بضعة اسابيع . وبهذا الشكل تتمكن السلطات التركية فى ليبيا أن تستوعب اعداد المهاجرين من اليهود . وبهذه الطريقة أيضا تستطيع حكومة الولاية أن تطلب

(30) Ibid.
(31) Ibid.
(32) viii
(33) Ibid. P. IX

بسهولة من الباب العالى الموافقة على اعتماد ضيافة اليهود اللاجئين الذين سيكون فى امكانهم العيش فى ليبيا كرعايا عثمانيين فى ظل استقلالهم الخاص بهم (34) ·

وكان اسرائيل زانجويل يرى البدء فى المفاوضات المباشرة مع حكومة الباب العالى فى اسطنبول دون أى تأخير للاستفادة من السياسة التركية التى كانت تهدف الى منع العناصر الاوربية غير اليهودية من الهجرة الى ليبيا . وكانت المنظمة اليهودية ترى فى هذه السياسة التركية حماية للمهاجرين اليهود الى برقة من طغيان العناصر الاوربية وخاصة الايطالية منها ·

وكان رجب باشا شديد الحماس لتنفيذ المشروع اليهودى المعروض عليه ، حتى أن يعقوب كريجر الترجمان العام للولاية كتب الى اسرائيل زانجويل عن لسان الباشا مؤكدا له أن جميع الشروط اليهودية قد نالت موافقته (35) . وذهب كريجر فى حماسه لبنى دينه أن كتب مرة أخرى الى اسرائيل زنجويل قائلا بأنه قد وعد نسبيا بأقل مما كان يظن عمله فى صالح الاسرائيليين (36) . وكان كريجر فى حماسه لبنى دينه يعتمد على الموقف الودى لرجب باشا نحو المشروع اليهودى المقترح ، وعلى الثقة التى وضعها رجب باشا فى ترجمانه العام ·

وأمام كل هذه الاغراءات تحمس الدكتور ثيوبالد فيسكر THEOBALD FISCHER لتنفيذ المشروع اليهودى ، حتى لا تفلت الفرصة هذه المرة من اليهود وهم الذين ظلوا على حد قوله ألفى سنة وهم يعانون الاضطهاد وينتظرون الفرصة المواتية لانشاء وطن قومى لهم ، وقد سبق أن ضاعت منهم فرص كثيرة سابقة (37) ·

ولكن رغم كل هذه الاغراءات التى قدمها رجب باشا ورجال ادارته لتنفيذ المشروع اليهودى كان الحذر يخيم على مجلس « منظمة الاراضى اليهودية » نحو هذا المشروع ، كما أن اللجنة الجغرافية

---

(34) Ibid.
(35) Ibid.
(36) Ibid.
(37) Ibid.

التى كونها هذا المجلس لدراسة المشروع لم تكن متحمسة للقيام بالاجراء السريع . وكان في مقدمة المترددين اللورد روتشلد LORD ROTSCHILD الذى نادى بضرورة عدم القيام بأى خطوة بخصوص المشروع فى ليبيا فى ذلك الوقت ، بحجة عدم استقرار الاوضاع فى الشمال الافريقى فى ذلك الوقت (38) . وكان اوسكار ستراوس من بين الذين التزموا الحذر فى تحقيق هذا المشروع . وأما بول ناثان الذى سلم بالحقائق العلمية المطبوعة التى اطلع عليها بخصوص برقة فقد طالب بضرورة عمل دراسات عنها أكثر دقة ، لان المعلومات المتوفرة كانت تحتاج الى تحقيق ونقد ، ولهذا طالب بارسال بعثة علمية لاستقصاء الحقائق على الطبيعة على أن يحسن اختيار اعضاء البعثة الموفدة (39) .

ونتيجة لهذا الاقتراح الذى طالب به بول ناثان قامت « منظمة الاراضى اليهودية » باختيار بعثة علمية لدراسة مشروع استيطان اليهود فى برقة على الطبيعة ، دون الاكتفاء بالمعلومات الشفهية أو المقتبسة من الكتب والتقارير ، وفعلا قامت المنظمة باختيار الاستاذ ج. و. جريجورى رئيسا للبعثة لما اشتهر به من نشاط فى ميدان الكشف والتأليف بالاضافة الى مكانته العلمية كاستاذ للجيولوجيا فى جامعة جلاسجو .

وكان رجب باشا حريصا على طمأنة « منظمة الاراضى اليهودية » بخصوص توفير وسائل النقل اللازمة لاعضاء البعثة ، حتى أنه كلف ناحوم شلوش بأن يكتب لرئيس المنظمة ليطمئنه بخصوص توفير الجمال والخيول وكل ما يلزم لتسهيل مهمة البعثة (40) .

وكان على البعثة أن تذهب لأداء مهمتها فى برقة فى فصل الصيف ، وهو فصل يمثل أسوأ حالات الجفاف فيها ، وأن يكون خبراء البعثة المكلفين بالتحقيق الاساسى من غير اليهود ، باستثناء أحد العناصر اليهودية ، وهو الدكتور ناحوم شلوش ، حتى يوضح لرجب باشا مهمة البعثة ونواياها الطيبة ، على حد قول رئيس

---

(38) **Ibid.**
(39) **Ibid.**
(40) **Ibid. P. X**

البعثة (41) ، وحتى يقوم هذا العضو اليهودى بتهدئة شكوك الاهالى ما لو اقتصرت البعثة على اعضائها من البريطانيين الذين كان الاهالى ينظرون اليهم نظرة الارتياب . وتقرر أن تحاط مهمة البعثة بالسر والكتمان عند وصولها الى برقة ، أو عند قيام اعضائها بمهمتهم الدراسية بالتنقل فى أرجاء البلاد بين أهلها (42) .

ويقول اسرائيل زانجويل رئيس المنظمة اليهودية : إنه اتصل بصديقه ارمينيوس فامبرى ARMINIUS VAMBERY بينما كانت الاستعدادات اللازمة للبعثة جارية . وكان ارمينيوس فامبرى يهوديا فى عقيدته الدينية ، وكان هذا اليهودى الأب الروحى لجماعة تركيا الفتاة ، والصديق الشخصى للسلطان عبد الحميد الثانى فى نفس الوقت ، وهو الذى قام بتقديم الدكتور هرتزل زعيم الحركة الصهيونية الى السلطان عبد الحميد الثانى ليطلب منه السماح للصهاينة بانشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين . وكان اسرائيل زانجويل يرمى من اتصاله بارمينيوس فامبرى الى اطلاعه على المشروع اليهودى فى برقة ، ومعرفة وجهة نظره فى الموضوع ، لما لرأيه من مكانة خاصة فى المسائل العثمانية ، ولما كان يتمتع به من مكانة فى البلاط العثمانى (43) ، وجاء رد فامبرى سريعا بالموافقة على المشروع المقترح واستعداده لأن يكون فى خدمة بنى دينه .

هذا وقد كان ارمينيوس فامبرى أستاذا بجامعة بودابست ، وقد كتب من هناك محبذا للفكرة التى عرضها عليه اسرائيل زانجويل . وقد اعتبرها خطة عملية أكثر مع سهولة فى التنفيذ من الخطة التى تقدم بها الصهاينة للاستيلاء على فلسطين . ورأى ارمينيوس فامبرى فى مشروع المنظمة فى برقة أنه يجنب اليهود الصراع مع المسلمين والمسيحيين باعتبار أهمية فلسطين الدينية لكل من الجماعتين . وأكد فى رده أن هناك فرصة لقبول السلطان للمشروع اذا فهم الهدف منه وأهميته . ولهذا أظهر استعداده

(41) Ibid.
(42) Ibid.
(43) Ibid.

للذهاب شخصيا الى إسطنبول اذا لزم الامر لمعالجة المسألة بنفسه (44) .

ولم يكن دور ارمينيوس فامبرى قاصرا على الرد على رسالة اسرائيل زانجويل بابداء وجهة نظره فى المشروع بل قام بنفسه بارسال المشروع اليهودى الى السلطان عبد الحميد الثانى عن طريق سكرتيره الاول تحسين باشا . وقد ارفق مع المشروع ما يوضح الملابسات السياسية التى ستصاحب تنفيذ المشروع . وكان على السلطان أن يعترف بالمستوطنين القادمين من اليهود كرعايا له ، على أن يمنحهم حكما ذاتيا فى مقابل جزية سنوية يقوم اليهود بجمعها بأنفسهم ويسلمون ما يجمعونه الى المالية التركية (45) . ولم يبد السلطان العثمانى أى حركة يشتم منها عدم رضاه على المشروع . ولذلك طلب ارمينيوس فامبرى من صديقه اسرائيل زانجويل أن يكتب بنفسه الى السلطان مؤكدا له أن السلطان سيرد على رسالته بسرعة .

وأعد امينيوس فامبرى خطاب التقديم باللغة التركية الى تحسين باشا السكرتير الاول للسلطان ، وقبل أن يقوم اسرائيل زانجويل بارسال الرسالة الى السكرتير الاول للسلطان بعث بمشروع مسودتها الى صديقه ارمينيوس فامبرى لاخذ رأيه فيها قبل إرسالها . وقد تضمنت رسالة إسرائيل زانجويل بيانات بمطالب « منظمة الاراضى اليهودية » فى برقة على اساس الحكم الذاتى للمهاجرين اليهود . وافق الاستاذ فامبرى على مسودة الرسالة . واعتبرها وافية بالغرض ، حتى أنه لم يغير فيها أى كلمة أو يضيف اليها أى فكرة اخرى (46) .

ويقول اسرائيل زانجويل أن السلطان عبد الحميد الثانى كان يخشى موافقته لليهود على طلباتهم فى فلسطين حتى لا يفتح على نفسه بابا للمطالب المسيحية بحكم تبعية اراضيهم المقدسة للسيادة العثمانية ، ولهذا فضل أن يرفض مطالب الصهاينة فى فلسطين

---

(44) Ibid.
(45) Ibid.
(46) Ibid.

حتى لا يفتح على نفسه مشاكل أخرى قد تثيرها الدول المسيحية الكبرى . أما مطالب اليهود فى برقة فقد كانت أسهل فى تحقيقها بالنسبة للسلطان العثمانى دون أن تسىء الى سمعته فى العالم الاسلامى والاوساط المسيحية ما دام هؤلاء اليهود المستوطنون يعيشون فى ظل السيادة العثمانية وإن تمتعوا بالحكم الذاتى لهم . وكان اليهود يرون فى تحقيق مشروعهم فى برقة ما يعود بالفائدة على الدولة العثمانية فى تلك المبالغ المالية التى يدفعونها ، والمشروعات الاقتصادية التى يقومون بانشائها ، الى جانب حماية البلاد من الوقوع فى ايدى الدول الاوربية المسيحية التى كانت تتجه باطماعها الى ليبيا . وكانت ايطاليا فى مقدمة تلك الدول الطامعة .

وفى الوقت الذى كان فيه اسرائيل زانجويل يستعد لارسال رسالته الى تحسين باشا السكرتير الاول للسلطان جاءت الاخبار بوقوع الانقلاب العثماني فى اسطنبول ، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني (1876 ـ 1909) . وكان من نتيجة ذلك الانقلاب أن أصبح تحسين باشا لاجئا سياسيا . وقد احتفظ اسرائيل زانجويل بالغلاف الذى عنونه أرمينيوس فامبرى باسم تحسين باشا ، وبقى هذا الغلاف عنده كذكرى تاريخية .

وزاد الطين بلة بالنسبة « لمنظمة الاراضى اليهودية » أن الانقلاب العثمانى قد وقع والبعثة اليهودية تقوم بجولتها العلمية الاستطلاعية فى أحراش الجبل الاخضر ، وهى مشغولة بدراسة امكانية تحقيق تأسيس وطن قومى لليهود فى المنطقة .

وكانت البعثة قد تركت مدينة لندن فى الخامس من شهر يوليو 1908 ، ووصلت الى جزيرة مالطة يوم الخميس فى التاسع من الشهر نفسه . وهناك أصيب أعضاء البعثة بخيبة أمل للاخبار التى وصلتهم بخصوص انتشار وباء الطاعون فى مدينة الاسكندرية ، مما ترتب عليه تأخير باخرتهم للاجراءات الصحية اللازمة . وبالتالى أخذت رحلتهم الى درنة اسبوعا أكثر مما كانوا يتوقعون . وعملت البعثة على الاستفادة من هذا التأخير بفحص تربة جزيرة مالطة ومواردها المائية . وقد وجدت البعثة جزيرة مالطة متشابهة

في احوالها مع ما هو موجود في برقة . وسبب لهم هذا التأخير قضاء ثلاثة أيام في مدينة طرابلس مما أعطاهم فرصة أوسع للتفاهم مع السلطات العثمانية على الاعمال المطلوبة بعد أن كان مقررا أن يقضوا فيها عدة ساعات .

كان وصول أعضاء البعثة الى مدينة طرابلس يوم الخميس 16 يوليو سنة 1908 حيث استقبلهم فيها فيتوريا حبيب Vittoria Abib واستضافهم في بيته الذي وضعه تحت تصرفهم ، وقام القنصل البريطاني العام في مدينة طرابلس جوستين الفاريز Justin Alvarez بتقديم اعضاء البعثة الى رجب باشا والي ولاية طرابلس الغرب الذي اعتبر جريجوري وفاته خسارة فادحة لتركيا ، وضربة قاضية لبرقة السيئة الحظ بوفاته لأنه كان مهتما بتنميتها (47) . ورافق البعثة في مقابلة اعضائها للباشا الاستاذ ناحوم شلوش الذي صاحب البعثة في بقية رحلتها . وكان ناحوم شلوش يقوم بمهمة الناطق الرئيسي للبعثة في مقابلاتها للسلطات التركية . وقد اعتمدت عليه البعثة كثيرا في مفاوضتها مع السلطات العثمانية ، وفي استقبال زوار معسكر البعثة .

وعادت البعثة بصحبة الاستاذ ناحوم شلوش لمقابلة الوالي مقابلة خاصة طويلة يوم الجمعة 17 يوليو . وفي تلك المقابلة عبر الباشا عن آرائه بحرية بخصوص تنمية برقة . وقد زود الباشا أعضاء البعثة بنصائحه وارشاداته في مهمتهم ، ووعدهم باعطاء خطابات توصية الى متصرف بنغازي . كان رجب باشا وديا للغاية ، وسمح للبعثة أن تصحب معها سكرتيره يعقوب كريجر الى درنة حتى يقوم بتقديمهم شخصيا للسلطات العثمانية المحلية. وقد أشاد جريجوري بالمساعدة التي قدمها يعقوب كريجر للبعثة في مهمتها .

وفي اثناء اقامة البعثة بمدينة طرابلس ذهب جريجوري وبرفقته المستر دف في رحلة قصيرة لعدة أميال في الصحراء .

---

(47) **الكتاب الازرق** . ص 3 .

وقد مكنته تلك الرحلة القصيرة من القاء بعض الضوء الاضافي على المورد المائي لمنطقة مدينة طرابلس . وقد سجل جريجوري إعجابه بالمياه الموجودة ومواردها مما جعله يتفاءل بخصوص الاوضاع المائية في برقة .

تركت البعثة مدينة طرابلس يوم الاثنين 20 يوليو 1908 ، ووصلت الى مدينة بنغازى في اليوم الثاني والعشرين . وهناك قام يعقوب كريجر بتقديم أعضاء البعثة الى متصرف بنغازى غالب باشا . وكان متصرف بنغازي قد وصل لتوه . ويقول جريجورى أن غالب باشا كان حذرا فى تصريحاته اثناء المقابلة ، ولكنه أعطى البعثة السماح للسفر عبر برقة وزودها بخطابات الى قائمقام درنة (48) .

وهناك في بنغازى قابل المستر فونتانا FONTANA القنصل البريطانى اعضاء البعثة بكل ود . وقابلت الجالية اليهودية فى بنغازى البعثة بكل ترحيب ، خصوصا من جانب أ. خلفون A. HALFOUN ، س. خلفون S. HALFOUN وجويلى GOULIE ونعيم NAIM . وقد قام هؤلاء اليهود بمرافقة أعضاء البعثة لزيارة المدارس والسوق ، ورافقوهم بعد الظهر الى حديقة السوق لأحد المالطيين فى بنغازى واسمه هنريكو فيلا HENRICO VELLA . وكانت هذه الحديقة قبل أن تزرع منذ خمس وعشرين سنة مساحة من الرمال الجرداء ولكنها تحولت الى أرض مثمرة تعطى محصولا قدرت قيمته بخمسة عشر ألف فرنك سنويا ، والمحصول الرئيسى لهذا البستان هو الفاكهة التى كانت تباع فى بنغازى . وكانت الاعناب تنمو فى عناقيد كبيرة الحجم ومن النوع الفاخر .

ومن بنغازى أبحرت البعثة الى مدينة درنة التى وصلتها يوم الجمعة الموافق الرابع والعشرين من يوليو 1908 . وهناك فى درنة قام بمقابلة البعثة كل من المستر فاروجيا FARRUGIA القنصل البريطانى بالمدينة ، والمستر ماثياس MATHIAS رئيس مصلحة

---

(48) Ibid.

التبع التركية ، وكان الترحيب حارا . وقد أعد القنصل البريطاني للبعثة بيتا خاصا ولم يدخر أي جهد في سبيل تزويدها بالجمال والدلاء ٠

وسافر القائمقام الى اسطنبول بعد وصول البعثة بعدة ساعات ٠ وقد ترك سلطة المدينة لقاضي البلاد حتى يصل من يخلفه . وقام القنصل البريطاني بتقديم اعضاء البعثة الى القاضي الذي رحب بهم . وبعد ذلك قام يعقوب كريجر بتقديم أعضاء البعثة الى القائد العسكري الذي سلموا اليه خطابات من رجب باشا ٠ وقام القائد العسكري بتقديم كل مساعدة لاعضاء البعثة وزودهم بحراسة من ثلاثة جنود من الاتراك واثنين من الجندرمة ، وزودهم أيضا بخطابات الى القادة العسكريين في المرج ومرسى سوسة ، وناقش معهم بكل حرية أوضاع البلاد ، وأمدهم بمعلومات عن مواردها الرعوية والزراعية ٠

وبقيت البعثة في مدينة درنة مدة فيما بين 24 الى 27 يوليو . وقد استغل أعضاء البعثة هذه الفترة التي أمضوها في درنة في تأجير قافلة لرحلتهم ، وفي اختبار المورد المائي للمدينة ، وعيون الماء الموجودة في وادي درنة . وقامت البعثة بزيارة بساتين درنة ، والحقول التي حول المدينة ، وزيارة ضواحي المدينة في الاتجاه الجنوب الشرقي في رحلات يومية . وقد شعر جريجوري رئيس البعثة بحريته التامة في القيام بهذه الجولات فيما حول درنة ٠

وتركت البعثة اليهودية مدينة درنة في اليوم السابع والعشرين من شهر يوليو في قافلة اتجهت بها الى عين شحات المعروفة بعين أبوللو Apollo المشهورة بمياهها العذبة في بلدة شحات . وهناك ترك جريجوري بقية أعضاء البعثة وذهب مع زميله دف الى بلدة مرسى سوسة . أما بقية أعضاء البعثة فقد بقوا في شحات لفحص المناطق المجاورة لبلدة قورينا (شحات) . وبعد بقائهم في قورينا أخذ المستر تروتر والاستاذ ناحوم شلوش القافلة الى بلدة مسه . أما جريجوري وقد عاد من مرسى سوسة فقد ذهب ومعه المستر دف والطبيب ادر الى جنوبي شحات حيث منحدرات سلنطة . ومن هناك عاد الاعضاء الثلاثة الى الشمال الغربي حيث

بلدة مسه . وهناك انضموا الى بقية القافلة التى تابعت المسيرة الى المرج التى أمضوا فيها عدة أيام سمحت لهم بفحص السهول الواسعة في تلك المنطقة . ومن المرج انحدرت قافلة البعثة الى الساحل حيث توجد بلدة طلميتة . ومن بلدة المرج اتجهت البعثة الى مدينة بنغازى . ومن هناك عادت البعثة عن طريق طرابلس الى جزيرة مالطة فسيراكيوز بجزيرة صقلية . وأخيرا وصل جريجورى والمستر دف والطبيب ادر الى مدينة لندن فى اليوم السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة 1908 . اما تروتر فقد ترك أعضاء البعثة في سيراكيوز ليعطى تقريرا عن غراسة الزيتون والصناعة فى شمالى جزيرة صقلية .

وعند عودة البعثة من رحلتها فى الجبل الاخضر الى مدينة طرابلس وجدت البلاد قد تحولت الى نظام دستورى فى الحكم ، وأن رجب باشا قد ترك البلاد في طريقه الى اسطنبول ليكون وزيرا للحرب فى الوزارة الجديدة . ومع هذا استمر رجب باشا حريصا على متابعة نشاط البعثة اليهودية . ولهذا ترك خلفه رسالة الى البعثة ليعلمها بأنه يضع نفسه تحت تصرف المنظمة اليهودية . وكان السائد أن رجب باشا قد أبعد عن اسطنبول تمشيا مع سياسة الدولة فى ذلك الوقت التى تقضى بابعاد الرجال الاقوياء فى وظائف نائية . واذا كانت المنظمة اليهودية قد تضايقت من مغادرة رجب باشا لولاية طرابلس الغرب فى أول الامر الا أن آمال المنظمة انتعشت بعد أن أصبح رجب باشا مسؤولا كبيرا فى اسطنبول نفسها بل فى مقدمة رجال الحكم فى العهد الجديد الذى جاء معتمدا على الجيش . وقد أصبح رجب باشا يتولى زمام الامور فيه بحكم منصبه كوزير للحرب . وكان رجب باشا يتمتع بسمعة طيبة . وقد رحبت الصحافة الاوربية به ، وتحدثت عنه جريدة التيمس TIMES فى لندن على أنه من أقدر رجال الامبراطورية العثمانية ، وهكذا بدأ مشروع « منظمة الاراضى اليهودية » فى برقة مضمون النجاح تماما فى عهد الانقلاب العثمانى (49) .

وكان الترتيب قد عمل على أساس انضمام اسرائيل زانجويل

---

(49) Ibid. P. XI

رئيس المنظمة الى البعثة اليهودية بمجرد عودتها الى مدينة طرابلس من الجبل الاخضر لمواصلة المفاوضات مع رجب باشا فى حالة نجاح الدراسات التى قامت بها البعثة وجاءت بنتائج مشجعة ، ولكن اسرائيل زانجويل ابرق الى رجب باشا بتهانيه وتمنياته الطيبة له فى منصبه الجديد بمجرد أن علم من الصحف بخبر استدعائه الى اسطنبول مذكرا إياه أن يهتم بمشروع المنظمة بعد وصوله الى اسطنبول . وكان ذلك فى يوم أحد من أيام الاسبوع كما يقول زانجويل نفسه • وفى اليوم التالى أبحر رجب باشا من طرابلس فى طريقه الى اسطنبول التى وصل اليها يوم الخميس وسط ابتهاجات شعبية كبيرة . ولم يأت يوم الاحد التالى اى بعد مرور اسبوع من ارسال برقية اسرائيل زانجويل بالتهنئة حتى كان رجب باشا قد فارق الحياة !! وهكذا مات رجب باشا فجأة . وكانت وفاته خسارة كبرى للشعب اليهودى كما قال اسرائيل زانجويل نفسه (50) ، الذى اعترف بأن « المنظمة اليهودية للاراضى » لم تدفع له أو الى أى أحد من أعوانه رشوة فى مقابل مواقفه الودية الحماسية من مشروع المنظمة (51) •

وزادت مأساة « منظمة الأراضى اليهودية » عندما عادت بعثتها اليهودية من الجبل الاخضر ببرقة بنتائج مخيبة لآمالها بسبب نقص المياه هناك ، الشيء الذى لم يكن يسمح بايواء اعداد كبيرة من اليهود فى منطقة الجبل الاخضر بسبب جفافها وقلة امطارها الى جانب مسام تربتها التى لا تحفظ مياه الامطار بل تعمل على تسربها جوفيا الى البحر • وكانت هذه النتيجة مخيبة للآمال الكبرى التى ذهبت من أجلها البعثة اليهودية . وقد عاد رجالها وهم يتشككون فى إمكانية المنطقة فى إيواء أعداد كبيرة من السكان فى العصور القديمة . وكان رأى البعثة أن مشروع توطين اليهود باعداد كبيرة فى الجبل الاخضر يمكن تحقيقه اذا اخذت الاحتياطات اللازمة لمواجهة المجاعات التى تتبع سنوات الجفاف (52) •

---

(50) Ibid.
(51) Ibid.
(52) Ibid.

وهذه النتيجة التى وصلت اليها البعثة بعد الدراسات التى قامت بها فى منطقة الجبل الاخضر ، اتفقت تماما مع ما أورده المؤرخ موردخ سمث فى رسالته الى اللورد جون رسل JOHN RUSSELL حيث كتب له بأن أهالى البلاد لم يعملوا أى وسيلة لحفظ مياه الامطار . ولهذا يجد الاهالى انفسهم فى فصل الصيف مضطرين الى الانتقال بحيواناتهم مسافات بعيدة للحصول على المياه اللازمة لهم مما ترتب عليه هجر الكثير من السهول الواسعة الجميلة . واذا قدم الشتاء بالجفاف فان الاهالى يتعرضون للجوع بسبب قلة المحصول وموت الماشية التى هى عماد ثروتهم الوحيدة (53) .

وهذه النتيجة التى وصلت اليها البعثة جعلت اسرائيل زانجويل يقتنع بعدم لوم أهالى البلاد على إهمالهم لان تحسين موارد المياه فى برقة ، شىء ليس بالامر البسيط ، إذ أنه عمل يحتاج الى الكثير من التكاليف الى جانب صعوبته من الناحية الفنية التى تحير المهندس الحديث (54) .

وكان من أهم النتائج التى وصلت اليها البعثة هى ملاحظات الاستاذ جريجورى ، التى أكدت أفضلية فلسطين عن برقة من الناحية الجيولوجية (55) . ومع هذا فان المواصفات التى وضعتها « منظمة الاراضى اليهودية » فى فبراير 1907 بخصوص الشروط اللازم توفرها لانشاء الوطن القومى لليهود كانت متوفرة فى معظمها فى برقة على حد قول اسرائيل زانجويل . وكانت هذه المواصفات هى (56) :

أولا : شريط من الارض غير مزروع وممتد وكاف لتوطين عدة ملايين من البشر .

ثانيا : تشتت السكان الاصليين المستقرين حتى يمكن التغلب عليهم بسهولة بواسطة أعداد من مهاجرى اليهود الذين يذهبون فى هجرات مستمرة وبشكل ثابت .

---

(53) **Ibid.**

(54) **Ibid.**

(55) **Ibid.**

(56) **Ibid.**

ثالثا : مناخ ملائم وتربة صالحة حتى يقبل الشعب اليهودى الاندماج فى الحياة الاقتصادية الجديدة ·

رابعا : أوضاع سياسية تجعل من السهل نسبيا تزايد العناصر اليهودية مع استمرارية وصولهم فى ظل حكومة ذاتية لوطن يهودى خاص بهم ·

وكان رئيس « منظمة الاراضى اليهودية » يرى فى برقة بأراضيها الداخلية مكانا صالحا لتحقيق معظم هذه المواصفات المطلوبة ، واذا كان الماء ينقص برقة فان تربتها ممتازة ومناخها صحى وحرارتها مقبولة ومناظرها خلابة الى جانب موقعها الجغرافى العظيم ، وهى خالية من الحيوانات المفترسة تقريبا · وسكانها قليلون ومعظمهم من الرحل ، وأراضيها الداخلية واسعة وخالية من السكان . وبها نواة من اليهود الموجودين فى المدن · واذا كانت الاوضاع السياسية قد تغيرت بقيام الثورة التركية وبوفاة رجب باشا فانه ليس من الضرورى أن تسوء الاوضاع بالنسبة لتحقيق المشروع فى برقة ، فرجال تركيا الفتاة يحتمل أن يتبنوا ما كان رجب باشا متحمسا للقيام به (57) · هذه هى المميزات التى استند اليها اسرائيل زانجويل لمتابعة تبنى مشروع الوطن اليهودى فى برقة ·

ويقول اسرائيل زانجويل أيضا إن النواقص التى أظهرها تقرير البعثة بعد دراستها للاوضاع فى برقة ربما خففت من مخاوف تركيا من الاطماع الايطالية التى ستقلقها هذه الصعوبات التى اكتشفتها البعثة اليهودية هناك (58) ·

وأخيرا انتهت « منظمة الاراضى اليهودية » على ضوء تقرير بعثتها وحالة الحذر التى أبداها بعض اعضاء مجلسها الى قرار بعدم القيام بأى عمل آخر بالنسبة لتحقيق مشروع الوطن القومى لليهود فى برقة ، لأن توقعاتها لتوطين اليهود فيها لا تبشر بنجاح كاف يبرر التجارب الباهظة التكاليف التى اقترحتها البعثة فى

(57) Ibid. P. XII
(58) Ibid.

تقريرها حتى تكون البلاد صالحة للاستيطان اليهودى فيها (59) ·

ويقول ناحوم شلوش أحد اعضاء البعثة الموفدة إنه بعد ثلاثة أسابيع من السير عبر هضبة الجبل الاخضر عادت البعثة الى بنغازى وقد وصلت ومعها معلومات كثيرة عن بلاد جديدة بالنسبة لاعضاء البعثة وهى مصحوبة باكتشافات علمية مختلفة ، ولكن خطة استعمار برقة يبدو أنها عديمة المستقبل ، وقد عزا ذلك الى نقص المياه اللازمة (60) ·

وتوجد فى دار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس وثيقة تاريخية (*) يبدو أنها ترجمة تركية لرسالة باللغة الفرنسية ، ولكن الترجمة التركية خالية من التوقيع ومن اسم الشخص الموجهة اليه ومن التاريخ ، ولكن ورقة الترجمة التركية عليها دمغة محفوظات ولاية طرابلس الغرب · وموضوع هذه الوثيقة يدور حول مشروع إنشاء الوطن القومى لليهود فى ليبيا ·

يبدأ صاحب الوثيقة بذكر عودته من لندن فى اليوم السابق لكتابة رسالته هذه مشيدا بالجهود التى بذلها فى لندن والنتائج الطيبة التى تحصل عليها بفضل تلك الجهود التى لم يكن الوصول اليها بالمراسلات البريدية وحدها دون الاتصال الشخصى · ويذكر صاحب الرسالة أنه اتصل برئيس المنظمة واعضاء مجلسها · وبين لهم عطف رجب باشا والى ولاية طرابلس الغرب على اليهود وحبه لهم · ومدح كاتب الرسالة لهم موقف باكير بك الكاتب العام للولاية من اليهود حتى أنه اعتبره مبعوث العناية الالهية لانقاذ اليهود من حياة الذل التى كانوا يعانونها ، مشيدا بثقافته العالية ، وتفهمه لمصالح الطرفين ، الشىء الذى جعله لا يتردد فى

---

(59) Ibid.

(60) Nahum Slouschz ; op. cit. P. 94.

(*) فى يوم الاثنين 12 يوليو 1959 ساعدنى الحاج محمد الاسطى الموظف بدار المحفوظات فى الاستفادة من هذه الوثيقة بترجمتها الى العربية . وقد قامت جريدة « طرابلس الغرب » فى عددها 282 الصادر يوم 1962/9/26 بنشر الترجمة العربية لهذه الوثيقة . وفى يوم الثلاثاء 8 رمضان 1289 هـ الموافق 18 نوفمبر 1969 اعادت جريدة الطليعة نشر الترجمة العربية لهذه الوثيقة فى صفحتها الثالثة . وقد اعتمدت على ما نشرته الصحيفتان فى الاستفادة من هذه الوثيقة خصوصا وأن المترجم واحد .

دوره لوندره‌ده بولنمقده ایدیم اوراده [illegible] عزیمتمده [illegible] استفاده [illegible] هر نوع [illegible]

[illegible] مکتوبلرینه جواب ویرمه‌دیم [illegible] اعضالرینه [illegible] پاشا [illegible]

سوریه حقنده [illegible] حساباته [illegible] سوریه‌لیلر [illegible] قوماندانی [illegible]

[illegible] انگلیزلره [illegible] فرانسه‌نك [illegible] سیاسیه حکومت عثمانیه

ایچون [illegible] وضعیتی [illegible] معاونت [illegible] سوریه‌لیلره [illegible]

ایله سوریه‌لیلره [illegible] حکومت عثمانیه‌نك [illegible]

ایتدم [illegible] سوریه‌لیلرك [illegible] اعضالرنك مکتوبلرینی

محافظه ایدرك [illegible] تقدیم ایتدم [illegible] تقدیم ایلمك [illegible]

[illegible] عموم [illegible] اعضالرینك [illegible] مکتوبلری کندولرینه

لطفاً [illegible] همان [illegible]

[illegible] حاصل [illegible]

[illegible]

[illegible] افندی

اولاً [illegible]

ثانیاً ([illegible]) [illegible] حکومت

[illegible] عثمانیه [illegible]

[illegible]

ثالثاً جمعیت [illegible] حکومت [illegible]

[illegible] عثمانلی [illegible]

[illegible]

رابعاً جمعیت [illegible] اتخاذ [illegible]

[illegible] اتخاذ [illegible]

[illegible] مباشرت [illegible]

خامساً [illegible] خائنانه [illegible]

[illegible] همان تشریف [illegible]

[illegible] هیچ [illegible] رجیع [illegible]

[illegible]

الوثيقة التركية الموجودة في دار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس
بخصوص توطين اليهود في برقة .

مساعدة اليهود لدى الباب العالى للوصول الى موافقة الدولة العثمانية على المشروع اليهودى .

وبعد ذلك ينتقل كاتب الرسالة الى مدح الشخص المخاطب الذى قام بتقديمه الى المسؤولين فى المنظمة اليهودية على أنه رجل له مكانته الدولية اسوة بما كان عليه والده ، وأنه يعمل لخير اليهود مع تقدير مصالح الدولة العثمانية . وصرح كاتب الرسالة بأن كلامه هذا ترك أثرا كبيرا في قلوب المسؤولين في المنظمة اليهودية حتى أن رئيسها وأعضاء مجلسها طلبوا اليه إبلاغ شكرهم وتقديرهم الكامل للشخص المخاطب فى الرسالة . وأخيرا طلب كاتب الرسالة اطلاع الموجودين مع المخاطب فى الرسالة على ما جاء فيها . وصرح كاتب الرسالة بأنه قرأ جميع الرسائل التى استلمها من الشخص المخاطب على جميع رجال المنظمة الذين سروا بمحتوياتها وشرعوا فى دراسة الشروط المذكورة فيها . وقد اتخذوا قرارات تسعة هى :

أولا : تقوم المنظمة بتأسيس مصرف يهودى لشراء اراضى واسعة .

ثانيا : حسب الرغبة التى أبداها الشخص الموجهة اليه الرسالة فان اليهود المضطهدين يقبلون بوصفهم لاجئين على أنهم عثمانيون، ويتحصلون على الجنسية العثمانية ، ويسمح لهم بتكوين هيئة دينية على أن يدفعوا ما تستحقه عليهم الدولة العثمانية من رسوم وضرائب جماعية لا فردية بمبلغ عام مقطوع يحدد فيما بعد .

ثالثا : تقوم المنظمة اليهودية بتأسيس ميناء على ساحل ليبيا ، ومد سكة حديدية ، وإنشاء شركة بحرية للملاحة ، على أن ترفع جميعها العلم العثمانى ، وتعمل كلها على رفع شأن الدولة العثمانية ، وتنمية ثروتها .

رابعا : تقوم المنظمة باتخاذ التدابير لاقرار أو فسخ هذه القرارات بطريقة سرية ، ويقوم أربعة من اعضاء مجلس المنظمة مع رئيسها زانجويل بمباشرة أعمال الاطلاع سريا ، وذلك بنشر خبر قيامهم

بجولة سياحية في البحر الابيض المتوسط لبحث بعض الشؤون في الدول الاوربية ·

خامسا : عند وصول المجموعة الى صقلية تقوم باعلام المخاطب في الرسالة بتاريخ وصولها لمالطة حتى يحضر هناك ويزود المجموعة بالمعلومات وجميع التفصيلات اللازمة لأن أعضاء المجموعة لا يمكنهم القيام بأى عمل فى هذا الخصوص قبل البحث معه ·

سادسا : بعد التفاهم مع الشخص المخاطب في الرسالة يتوجه أربعة من اعضاء المنظمة ، من بينهم أخصائى فى فن الزراعة الى بنغازى وهم متنكرون . ويقومون بجولة في البلاد حتى درنة بحجة تأسيس مدارس يهودية فى البلاد · ويقول صاحب الرسالة « اذا أوجستم خيفة في أمرنا فاننا ننزل خلسة في موقع خال ليس به احد يرتدين الزى الوطنى . ولكي لا تعترضنا بعض المصاعب يجب أن تكون الحكومة والقائمقاميون على علم من ذلك . وباذن الله سوف تنتهى مهمتنا فى ظرف عشرة أيام · إن أول ما نطلبه إعطاؤنا رخصة في الزراعة وتعمير الاراضى ، لأنه اذا لم يسمح لنا بالرخصة الزراعية فان المنظمة ستدخل فى مفاوضات مع كندا أو استراليا فى هذا الشأن ، لذلك أرجو أن تشرح هذه المسألة لحضرة صاحب الدولة المشير وصاحب السعادة بكير بك ، وتبين لهما الجهود التى بذلتها منذ ستة شهور سعيا لتحقيق المشروع وعن رغبتى الاكيدة فى جلب السعادة والبركة لتلك البقاع ، وأن هدفى إدخال واستثمار رؤوس الاموال اليهودية فى الممالك العثمانية . إننا واثقون من نجاحنا نرجو الا يبديا أية مصاعب ، انى اقنعت المنظمة فاذا كانت الحكومة المحلية لا ترفض مشروعنا الزراعي فاعلمنا تلغرافيا . اننا متأهبون لمباشرة العمل حينما نتصل برغبتكم » ·

سابعا : عند رجوع السادة المذكورين من زيارتهم لبنغازى الى صقلية فان المسيو زانجويل سيتوجه فى الحال بعد الاطلاع على تعليماتكم للتفاوض هناك حول الامتيازات وتأسيس المصرف والمصالح الاخرى بكل اطمئنان ·

ثامنا : اعرضوا على سعادة الباشا بان المنظمة قررت باجماع الآراء فى هذا الموضوع رغبتها فى خير وسعادة البلاد العثمانية . وإنى أستعطفه أن يدرس هذا المشروع المقدس الذى سوف يخلص اليهود المساكين من العذاب والمشاق التى يلاقونها ·

تاسعا : أرجو بذل مساعيكم لانجاح آمالنا التى شرحتها لكم فى رسالتى هذه ، وأن تبعثوا لنا عاجلا بالبرقية المنتظرة ·

والغالب أن الرسالة الاصلية كانت موجهة الى يعقوب أفندى كريجر الترجمان العام للولاية بحكم أنه الشخص الثالث الذى اشترك مع رجب باشا والى الولاية وباكير بك الكاتب العام للولاية فى دراسة المشروع اليهودى الذى تقدمت به « منظمة الاراضى اليهودية » · وقد كشف اسرائيل زانجويل عن أهمية الدور الخطير الذى قام به هذا الترجمان اليهودى فى خدمة الاطماع اليهودية فى المقدمة التاريخية التى كتبها لتقير البعثة الذى نشر فى كتاب أزرق . وقد سبقت الاشارة الى كل ذلك . إن هذه الرسالة اشارت الى رجب باشا والى باكير بك ، ولكنها لم تشر الى يعقوب كريجر بحكم مهمة الوساطة التى كان يقوم بها والتى أيدتها فحوى هذه الرسالة كما أيدتها المقدمة التاريخية التى كتبها إسرائيل زانجويل فى الكتاب الازرق الذى شمل تقرير البعثة اليهودية · واذا صح هذا الاحتمال فان هذه الرسالة التى تضمنت القرارات التسعة تكون موجهة الى يعقوب كريجر الترجمان العام للولاية · وبهذا الشكل تكون شخصية المخاطب فى هذه الرسالة قد كشفت لنا وتأكدت حقيقتها . أما صاحب الرسالة التى كتب رسالته باللغة الفرنسية والتى ترجمت عنها الوثيقة التركية فهو الدكتور ناحوم شلوش باعتباره الشخص الذى مهد للمشروع اليهودى مع رجب باشا بتكليف من « المنظمة اليهودية » كما سبق توضيحه ، وهو الذى بقى على اتصال بالمسؤولين فى طرابلس ·

إن ما جاء فى هذه الوثيقة التركية يتمشى مع الحقائق التاريخية التى جاءت فى المقدمة التى كتبها اسرائيل زانجويل لتقرير البعثة والتى اعتمدت عليها كثيرا فى دراسة البعثة اليهودية الى الجبل الاخضر ببرقة ، مما يؤكد صحة ما جاء فى هذه الوثيقة من

معلومات تتفق مع البيانات التى صرح بها رئيس المنظمة فى مقدمته التـاريخية ٠

أما سرية البعثة وتعمد إخفاء تحركات أعضائها فقد أكدته هذه الوثيقة كمـا أكدتـه مقـدمة اسرائيـل زانجـويل (ص ×) . أما ناحوم شلوش فقد ذكر أن رجب باشـا نصحـه بأن يرتـدى طربوشا أحمر على الطريقة التركية وأن يتجول فى هيئـة استـاذ مهتم بالدراسات اليهودية حتى لا يلفت اليه انتباه المواطنين (61)٠

لقد عادت البعثة من مهمتها فى الجبل الاخضر بنتيجـة مخيبـة للجهود التى بذلتها « منظمة الاراضى اليهودية » ولأطماع أصحاب الأهداف التوسعية . إن المدة التى أمضتها البعثـة فى دراساتهـا الحقلية فى برقة كانت قصيرة جدا بالنسبة للمهمـة التى أتت من أجلها . لقد أمضت البعثة ثـلاثة اسابيع (62) من شهـرى يوليـو وأغسطس سنة 1908 كما يتبين ذلـك من خـريطة سيـر البعثـة المنشورة فى الكتـاب الازرق لتقريـر البعثـة . لقـد كانت مـدة الدراسة قصيرة خصوصا اذا عرفنا أن وسائل البحث والدراسة فى ذلك الوقت لم تكن قـد وصلت الى ما وصلت اليـه اليـوم من اختراع وتقدم ٠ واذا كانت المنظمـة قد تعمـدت اختيـار فصـل الصيف وقتا للقيام بالمهمة لمعرفة أحوال المنطقة فى أسـوإ فصـول السنة من حيث الجفاف خصوصا وأن الامطار فى الشتاء السابـق لمجىء البعثة كانت قليلة فى معظم انحاء(63) البلاد٠وكان هذا الاختيار من اسباب الحصول على النتيجة التى وصلت اليها البعثة فى مهمتها العلمية وإن حققت بعض النجاح فى الحصـول على معلومـات علميـة جديدة عن المنطقة ما زالت تعتبر أساسا للكثير من الدراسات العلمية فى المنطقة ٠

---

(61) Nahum Slouschz; **op. cit. P. 44.**

(62) **Ibid. P.** 94

(63) **الكتاب الازرق** ص 40

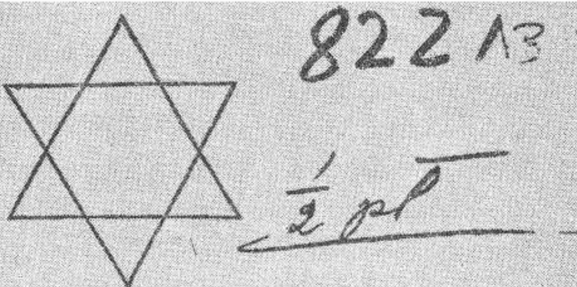
الكتاب الأزرق

أصدرت « منظمة الأراضي اليهودية » بلندن كتابها الأزرق (*) في يناير 1909 م ، وقد حوى هذا الكتاب التقارير التي أعدها أعضاء البعثة التي أوفدتها لدراسة إمكانية انشاء الوطن القومي لليهود في منطقة الجبل الاخضر ببرقة . وبالكتاب الأزرق 65 صفحة من المقاس الكبير ، وهو يضم خريطة جغرافية كبيرة لمنطقة الجبل الاخضر فيما بين مدينتي بنغازي ودرنة ، وقد سجلت الخريطة معالم المنطقة التي مرت بها البعثة ، وخط مسيرتها ، وكل البيانات التي اهتمت بها ، بما في ذلك توقيت الزمن اليومي لمسيرة البعثة مع تسجيل تواريخ تحركاتها . ولهذا جاءت الخريطة كبيرة في حجمها حتى أنها شغلت ست صفحات مطوية من الكتاب .

وبالكتاب خريطة جغرافية أخرى قد شغلت صفحة واحدة منه . وقد جاءت هذه الخريطة لتبين موقع برقة وعلاقاتها بالبلاد الاخرى المجاورة في حوض البحر الابيض المتوسط وذلك فيما قبل حرب البلقان 1912 والحرب العالمية الاولى 1914 أي قبل حدوث التغييرات التي طرأت على تركيا وعلى منطقة البلقان بعد الحربين المذكورتين.

وهناك رسمان لقطاعين جولوجيين لحافة هضبة قورينا (شحات) (ص 9) . كما أن هناك خريطة طبوغرافية لبلدة سوسة والميناء الذي اقترحته البعثة لها (ص 44) ، كل ذلك الى جانب ثلاث وثلاثين صورة التقطها رجال البعثة لأهم المعالم الجغرافية في المنطقة لتغطية المعالم التي قام رجال البعثة بدراستها في الجبل الاخضر .

(*) هناك فيما أعلم نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الاثار بمدينة شحات والتي نقلت فيما بعد الى مدينة البيضاء .



THE OBJECT OF THE ITO IS TO PROCURE A TERRITORY UPON AN AUTONOMOUS BASIS FOR THOSE JEWS WHO CANNOT OR WILL NOT REMAIN IN THE LANDS IN WHICH THEY AT PRESENT LIVE.

Jewish territorial organization.

REPORT

ON THE

WORK OF THE COMMISSION

SENT OUT BY THE

JEWISH TERRITORIAL ORGANIZATION

UNDER THE AUSPICES OF

THE GOVERNOR-GENERAL OF TRIPOLI

TO EXAMINE THE TERRITORY PROPOSED

FOR THE PURPOSE OF

A JEWISH SETTLEMENT IN CYRENAICA.

J. W. GREGORY, D.Sc., F.R.S., M.I.M.M., ETC., ETC.,
PROFESSOR OF GEOLOGY AT THE UNIVERSITY OF GLASGOW.

ITO OFFICES, KING'S CHAMBERS, PORTUGAL STREET,
LONDON, JANUARY, 1909.

صورة الغلاف الداخلى للكتاب الأزرق ماخوذة من النسخة الموجودة بمكتبة الكونجرس بواشنطـن . (الحجم الاصلى للوثيقة 30 × 20)

ويشمل الكتاب مقدمة تاريخية وسياسية من اعداد اسرائيل زانجويل رئيس « منظمة الاراضى اليهودية » • وبعد ذلك يأتى التقرير العام الذى أعده الاستاذ ج• و• جريجورى استاذ الجيولوجيا بجامعة جلاسجو (ص I ـ I4) • أما التقرير الثانى فخاص بالاحوال الزراعية لبرقة ، وقد أعده عضو البعثة جون تروتر الزميل بالجمعية الزراعية للاراضى المرتفعة فى اسكتلندة والمدير المساعد السابق للمجلس الزراعى فى السودان (ص I5 ـ 37) • والتقرير الثالث خاص بموارد المياه والامكانيات الهندسية لبرقة • وقد اشترك فى اعداده كل من ريجنالد إ• ميدلتون ، وولتر هنتر ، وماثيو ب• دف (ص 38 ـ 46) •

وبعد هذه التقارير الاربعة التى غطت أهم معالم منطقة الجبل الاخضر نجد خطابا إضافيا من الاستاذ جريجورى بقسم الجيولوجيا بجامعة جلاسجو الى اسرائيل زانجويل رئيس « منظمة الاراضى اليهودية » بتاريخ 8 ديسمبر I908 (ص 50) . وقد كتب الاستاذ جريجورى خطابه ليرفق به التقارير التى أعدها اعضاء البعثة . وقد بين الاستاذ جريجورى فى خطابه هذا وجهة نظره بخصوص عدم ضمان نجاح المشروع لقلة المياه اللازمة لقيام حياة زراعية ، ولكنه قرر صلاحية البلاد للرعى بسبب قلة الامطار السنوية وإن كان قد أشار الى إمكانية الحصول على كمية المياه المطلوبة من الآبار الموجودة بعد القيام بتجارب عملية لاستغلالها •

ويشير الاستاذ جريجورى فى خطابه الى ترك بعض الآلات التى استخدمتها البعثة فى الدراسات التى قامت بها فى الجبل الاخضر عند أحد يهود بنغازى المسمى « جوبلى » . وقد أرفق بخطابه قائمة بالاشياء المتروكة حسب ما أشار اليه فى خطابه وإن كان الكتاب الازرق لم ينشر هذه القائمة المذكورة ، ويطلب جريجورى فى خطابه حفظ مجموعة العينات المختارة المرسلة الى المنظمة مع بعضها على أن تقدم الى متحف التاريخ الطبيعى حيث يجرى أخصائيو المتحف عليها ما يلزم •

أما المجموعات الجيولوجية فقد احتفظ بها جريجورى عنده ولم يرسلها لأنها تحتاج الى دراسة فى مدة لا تقل عن بضعة شهور ،

وقد اعتزم إرسال بعضها الى استراليا ليقوم بفحصها أحسن الخبراء الموجودين هناك . واقترح فى خطابه تقديم المجموعات الجيولوجية الى المتحف البريطانى بمجرد الانتهاء من اعطاء مواصفاتها العلمية .

وذكر جريجورى أن تقريرا مفصلا عن المجموعات الجيولوجية سيفيد فى تأكيد وجهات النظر التى ابديت فى تقريره وإن كانت لا تؤثر تماما فى الجيولوجية الاقتصادية للبلاد .

وذكر جريجورى أن بعض عينات من الفخار القديم قد تم تقديمها الى جامعة جلاسجو ، والى متحف ملبورن MALBOURNE

ويختم الاستاذ جريجورى خطابه بتقديم الشكر الى زملائه فى البعثة للتفانى الذى أبدوه فى القيام بعملهم ، وفى نفس الوقت عبر جريجورى عن خيبة أمله الشخصى فى تحقيق الآمال التى ذهب من أجلها الى برقة لأنها لم تتحقق .

وهناك ملحق فى آخر الكتاب عن اليهود واليهودية فى برقة القديمة من اعداد الدكتور ناحوم شلوش (ص 51 ـ 52) ، وللدكتور ناحوم شلوش عدة مقالات فى تاريخ ليبيا كان يقوم بكتابتها فى مجلة العالم الاسلامى الفرنسية التى كانت تقوم باصدارها « البعثة العلمية لمراكش » فى باريس (*) ، وكان ناحوم شلوش يكتب ايضا الرسالة الشهرية عن ولاية طرابلس الغرب ، وأهم أخبارها واحداثها فى نفس المجلة فى الاعوام الاولى من القرن العشرين .

كشف اسرائيل زانجويل فى مقدمته التاريخية والسياسية فى الكتاب الأزرق الكثير من الحقائق التاريخية عن أطماع اليهود فى

(*) Revue du Monde Musulman. Publiée par La Mission Scientifique Du Maroc. Paris : 28, Rue Bonaparte.

راجع مقاله عن « **طرابلس الغرب تحت الحكم القرمانلى** » فى عدد سبتمبر 1908 وعدد نوفمبر 1908 من المجلد السادس .

ومقاله عن « **الاتراك واهل البلاد فى طرابلس الغرب** » فى عدد يناير 1957 من المجلة.

ومقاله عن « **اليهود فى طرابلس الغرب** » 1907 . وهو خلاصة لما جاء فى كتابه « **رحلات فى شمالى الريفية** » الذى نشره فى 1927

ليبيا بصفة عامة ومنطقة الجبل الأخضر فى برقة بصفة خاصة . وبينت هذه المقدمة خطط اليهود الخطيرة لتحقيق هذه الاطماع ، وموقف المسؤولين فى الدولة العثمانية من المشروع اليهودى فى ليبيا .

ويردد زانجويل فى مقدمة الكتاب الأزرق نغمة العزلة التى فرضها العثمانيون على ليبيا ، مما كان سببا فى جهل العالم بها بدعوى أن الاتراك قاموا بوضع كل المصاعب فى طريق الاوربيين الراغبين فى السفر والتجول فى داخل ليبيا . ويستشهد فى ذلك بما كتبه السناتور جاكومو دى مارتينو فى دراسته التى نشرها عن « قورينا (شحات) وقرطاجة » CIRENE E CARTAGENE والتى وصف فيها حالة البلاد وما كانت تعيش فيه من تأخر بسبب سياسة العزلة التى فرضتها تركيا على البلاد أمام الرحالة الاوروبيين .

ولكن الواقع أن اسرائيل زانجويل قد بالغ فى وصف سياسة العزلة التى اتبعتها الدولة العثمانية فى إدارة البلاد ، وهو متأثر فى قوله هذا بما كتبه بعض الرحالة الايطاليين ، وفى مقدمتهم الرحالة الايطالى دى مارتينو الذى استشهد زانجويل ببعض عباراته فى هذا الخصوص ، كما استشهد ببعض أقوال أخرى أوردها الكاتب الانجليزى مورى فى كتابه « دليل للبحر الابيض » . والواقع أن الكتاب الايطاليين قد بالغوا فى ابراز هذه الناحية مع أن عدد الرحالة والبعثات العلمية التى زارت البلاد لم يكن قليلا . واذا رجعنا قائمة الرحالة الاجانب الذين تجولوا فى البلاد لوجدنا الايطاليين كانوا فى مقدمتهم من حيث العدد فى أواخر القرن التاسع عشر . ومجىء دى مارتينو نفسه الى برقة ينهض دليلا على عدم صحة ما ادعاه ، أما مجىء بعثة « منظمة الاراضى اليهودية » لاستطلاع إمكانية الاستيلاء على جزء من البلاد فهو دليل آخر يكذب سياسة العزلة التى شكا منها بعض الكتاب الاوربيين . وهو أيضا دليل على خطورة مثل هذه البعثات والسماح لها بالتجول فى البلاد . واذا كانت الدولة العثمانية قد تنبهت اخيرا الى خطورة مثل هذه الرحلات فقامت بتنظيم السماح بها اخيرا وطالبت

بضرورة الحصول على اذن بها قبل القيام بالتنفيذ فانها كانت محققة . وقد أثبتت الايام خطورة مثل هذه الرحلات وما كانت ترمى اليه من اهداف خطيرة . واذا قارنا بين السياسة العثمانية التى اتبعتها بالسياسة الايطالية عندما تم لايطاليا الاستيلاء على البلاد (1911 ـ 1943) لوجدنا العزلة التى فرضتها ايطاليا على ليبيا كانت تامة حتى أن العالم أصبح يجهل ليبيا جهلا تاما ، كما قال الكاتب هاريت تشالمرز آدمز HARRIET CHALMERS ADAMS فى مقاله عن « برقة الجناح الشرقى لليبيا الايطالية » الذى نشره فى المجلة الجغرافية الوطنية الامريكية (1) بعددها الصادر فى يونيو 1930 . لقد بالغ الايطاليون ودى مارتينو واحد منهم فى مهاجمة السياسة التركية المتبعة فى ليبيا تبريرا لما كانوا يبيتونه من نوايا سيئة نحو البلاد . ويكفى أن نعود الى الفصل التاسع عشر من الكتاب الذى ألفه فرانسسكو كورو عن « ليبيا اثناء العهد العثمانى الثانى » (2) والذى قام بتعريبه والتقديم له الاستاذ خليفة محمد التليسى لنجد أن ليبيا قد شاهدت سيلا من الرحالة الاجانب ، وفى مقدمتهم الرحالة الايطاليون أنفسهم . وهكذا جاء كورو الايطالى ليرد على ادعاء الايطاليين .

ويجب أن نذكر أيضا الدراسة الرسمية لحكومة برقة فى العهد الايطالى التى قام بها الاستاذ اتيلو مورى والتى كان موضوعها الاكتشافات الجغرافية لليبيا(3) ، وقد استعرض فيها المؤلف جميع

---

(1) Harriet Chalmers Adams. **Cirenaica, Eastern Wing of Italian Libia. The National Geographic Magazine, June 1930. Published by the National Geographic Society, Washington PP.** 689 - 726.

(2) Frascesco Coro. **Settantasei Anni Di Dominazione Turca In Libia** 1911 - 1935. Tripoli : Stabilimanto Poligrafico Editoriale Plinio Maggi.

تعريب وتقديم الاستاذ خليفة التليسى . طرابلس : دار الفرجانى .

(3) Attilio Mori. **L'Esplorazione Geografica della Libia.** Rassegna Storica E Bibliografica. Firenza : Tipografia Mariano Ricci, Via San Gallo, 31. 1927. 112 PP.

تعريب الاستاذ خليفة محمد التليسى . طرابلس : مكتبة الفرجانى مايو 1971 .

الرحالة والبعثات العلمية التى جاءت الى ليبيا طيلة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حتى الغزو الايطالى فى 1911 ·

وهوامش هذا الكتاب غنية بالمراجع والمصادر التى تساعد فى هذا الخصوص ، ومعظمها باللغة الفرنسية ، وبعضها باللغة الانجليزية ، والبعض الآخر باللغة الالمانية ·

وكانت طريقة مؤلف هذا الكتاب استعراض كل رحلة على حدة ملقيا الضوء على صاحبها وعلى رحلته مستعينا فى ذلك بالمصادر اللازمة ، وفى مقدمتها الرحلة إن كانت قد نشرت أو المقالات العلمية بالمجلات العلمية سواء كانت انجليزية أو فرنسية ·

وفى هذه الدراسة الايطالية رد آخر على الادعاء الايطالى الذى تبناه اسرائيل زانجويل لتبرير ما كانت منظمته اليهودية تبيته من تخطيط خطير يهدد سلامة البلاد . ومع كل لم يستطع زانجويل انكار الحقيقة التى اضطرته أن يذكرها عندما أشار الى رحلة الرحالة الالمانى الدكتور جيرهارد رولفس GERHARD ROHLFS (1879) وما تعرض له من متاعب وإن كان لم يذكر سبب تلك المتاعب ، ولكن المعلوم ان هذا الرحالة الالمانى قد أخفى حقيقته وقام برحلته متنكرا فى زى طبيب مسلم باسم « مصطفى الطبيب » حتى اذا اكتشف بعض الاهالى حقيقته المسيحية حاولوا الاعتداء عليه لانه تلاعب بعقيدتهم الدينية . لقد سبق أن جاء الكثير من الرحالة الاوربيين وقاموا بنشاطهم دون اخفاء لحقيقتهم ولم يتعرضوا لأى متاعب تذكر . أما الرحالة اليهودى موردخ سمث والذى أصبح فيما بعد الميجر جنرال السير روبرت موردخ سمث والذى قام مع زميله بورشير PORCHER بزيارة برقة فى 1860 فقد عاد الى لندن وهو يحمل معه كميات كبيرة من التماثيل والآثار القيمة . وقد أخذها معه من أطلال قورينا (شحات) وزود بها المتحف البريطانى فى لندن ، وإن كان قد تعرض لبعض المتاعب كما قال زانجويل فان الآثار التى حملها معه تخفف أى متاعب صادفها فى رحلته العلمية وقد مكنته هو وزميله من إخراج

مجلد كبير (4) مزود باللوح والصور للقطع الاثرية التى عثرا عليها فى شحات ٠

ويعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا فى دراسة التاريخ القديم لبرقة وآثارها ، ولاهمية ما جاء فيه من لوحات فنية تضعها بعض الجامعات فى مكتبة كلية الهندسة كما هى الحال فى جامعة كولومبيا بنيويورك . وقد أصبح هذا الكتاب من الكتب النادرة ٠

وعلينا أن نعرف أن معظم رحالة القرن التاسع عشر قد دأبوا على التهويل من المصاعب التى صادفوها بحكم تنقلتهم من بلدهم الى البلد المقصود مع اختلاف واضح فى النظم واجراءات الامن والادارة ، كل ذلك حتى يزيدوا فى قيمة أعمالهم وحتى يظهروا بمظهر الابطال فى مواقف بسيطة لا تستحق كل هذا التهويل الذى كثيرا ما جاء نتيجة للخيال الخصب أو الغرور أو الفهم غير الحقيقى لبعض المواقف العامة التى تعرضوا لها فى رحلاتهم . ولماذا نذهب بعيدا وأمامنا بعض الاجراءات التى تطالب بها بعض الدول كل من يقصد زيارتها ، لقد أتيحت لى فرصة الذهاب الى الولايات المتحدة الامريكية فى ربيع 1956 للدراسة وقد مررت بالكثير من الاجراءات المطلوبة لدخولها ، وبالمثل بالنسبة للاتحاد السوفياتى وبعض البلاد الاخرى التى تتبع روسيا فى نظامها السياسى حتى أنها أصبحت معروفة ببلاد الستار الحديدى وان اخذت هذه الاجراءات تقل فى الاعوام الاخيرة . وكلها اجراءات عملت لضمان سلامة البلاد وأمنها وحفظها من العناصر التى قد تتسرب اليها لالحاق الأذى بها . واذا اخذنا بسلامة مثل هذه الاجراءات فكيف نلوم الدولة العثمانية فى اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وقد أصبحت هدفا للاطماع الاوربية ووسائل حماية الامن لم تكن قد وصلت الى ما هى عليه الآن من تقدم وتنوع ٠

ويقتبس اسرائيل زانجويل بعض افكار الرحالة الايطالى جاكومو دى مارتينو التى حمل فيها العرب والترك مسؤولية

---

(4) Captain R. Murdoch Smith of Commander E.A. Porcher. **History of the Recent Discoveries At Cyrene.** London : 6 Gate Street, Lincoln's Inn Filds. 1864. PP. Xvi, 117 + 86 pl.

الاوضاع السيئة التي آلت اليها برقة من تـرد وتدهـور (5) ، ولكن هذا الرحالة الايطالى كـان فى كـلامه متجنيـا على الحقيقـة فالثابت أن نزاع اليهود فى برقة وثوراتهـم ضـد الرومـان ومـا اتخذته السلطات الرومانية من اجراءات عنيفة للقضاء على ثـورات اليهود والبطش بهم قد حول البلاد الى صحراء قبل أن يأتى العرب إليها . وقد سبق لنا استعراض بعض اقوال الاستاذ ناحوم شلوش فى هذا الخصوص والذى ذكر أن القوات الرومانية دمرت قورينـا (شحات) وجردتها تقريبا من سكانها الاغريـق واليهـود (6) . ولقطع خط الرجعة على الثوار من اليهود قام الرومان بتحويل البلاد كلها الى صحراء (7) ، فالرومان وهم أجداد الايطاليين بالاشتراك مع اليهود وهم أجداد زانجويل هم الذين حولوا البلاد الى صحراء وألحقوا بجناتها الدمار والخراب حتى ان البلاد لم يكن فى استطاعتها أن تستعيد ما كانت عليه من نعيم ورخاء بسبب ثورة اليهود والعنف الذى قابل به الرومان الثورات اليهـودية (8) . وقـد سـاهمت الطبيعة فى تدمير قورينا بتعريضهـا للـزلازل والقضـاء على البقيـة الباقية منها ، حتى اذا جاء العرب فاتحين مبشرين لم يذكروا شيئا عن هذه المدينة مما يؤكد خلوها من السكان ، وتلاشى أهميتها ، بعكس ما سجله لنا مؤرخو الفتـح العربـى بالنسبـة لمدينـة برقـة (المرج القديمة) والتى ذكروا لنا كيفية دخول أهلها فى الاسلام ، مما يؤيد وجودها وبالتالى استمراريتها بعد الفتح العربى ، حتى يومنا هذا ، رغم ما تعـرضت له من زلازل فى العهـد العثمـانى وأخيرا فى الزمن المعاصر (مارس 1963) . وقد تم انشاء مـدينة المرج الجديدة لتحل محل المرج القـديمة التى اصابهـا الزلـزال . والعرب الذين أسسوا الفسطـاط والقطائـع والعسكـر والقاهـرة والكـوفة والبصـرة وبغـداد وسامـرا والقيـروان وفـاس وغيرها وعملوا على ازدهار اسبانيـا لا يمكـن أن يكونـوا عـامل تدميـر وتخريب . أما الذين دمروا قرطاجة واتخذوا من وجوب تدميرهـا

---

(5) الكتاب الازرق . ص VI

(6) Nahum Slouschz, op. cit. P. 73.

(7) Ibid. P. 74.

(8) Alan J.B. Wace. Op. cit. P. 15.

شعارا لهم «يجب تدمير قرطاجة» DELENDA EST CARTHAGS (9) فهم أجداد دي مارتينو الايطالى .

وبعد كل هذا يأتى الايطاليون ومن هم على شاكلتهم من يهود طامعين ويلصقون بغيرهم ما اقترفته أيديهم من خراب ودمار ويتخذون من هذا الدمار الذى سببوه للبلاد ذريعة للاستيلاء عليها واستعمارها باسم الانسانية وحقوقها . والغريب أن بعض الكتاب العرب قد جاروا هؤلاء المغالطين فى ادعاءاتهم ونسبوا الى العرب الكثير من معالم الخراب والدمار الذى تعرضت له بلاد الشمال الافريقى ، وهم فى هذا الاتجاه يقلدون الاوربيين فى تحليلاتهم للفتح العربى وما تبعه من هجرات عربية دون تمحيص ، ونسوا أن العرب قد أتوا الى الشمال الافريقى بعد غزو قبائل الوندال الاوربية للمنطقة وما احدثته تلك القبائل من تخريب لمعالمها وما تلا ذلك الغزو من حروب بينها وبين القوات البيزنطية لاسترداد المنطقة للحكم البيزنطى فى عهد الامبراطور جستينان . وقد اتخذت حرب البيزنطيين لقبائل الوندال بلاد الشمال الافريقى مسرحا لها . واخيرا ما اقترن به الفتح العربى فى الجهات الغربية من ليبيا مع بقية الشمال الافريقى من دمار بسبب ما ارتكبته الكاهنة اليهودية من أعمال التخريب زاعمة أن العرب قد جاءوا لاحتلال البلاد للاستيلاء على خيراتها حتى تدفع أهالى الشمال الافريقى الى حرق وتدمير معالم البلاد ظنا منها أن ذلك الدمار سيوقف الزحف العربى فى مسيرته . وهكذا ساهم اليهود سواء فى العهد الرومانى أو فى ابان الفتح العربى فى تدمير البلاد والحاق الأذى بها . وبعد ذلك يتجرأون على ماضيها ويعملون على المجيء اليها بحجة اصلاحها واعادة الحياة فيها . وكان الاولى بالسناتور جاكومو دى مارتينو الايطالى حفيد الرومان الذين ساهموا فى خراب البلاد ألا يحمل غيره جريمة ما فعله أجداده . وكان على زانجويل رئيس المنظمة اليهودية أن يراجع ما فعله اليهود قديما فى برقة وأهلها فى العصور القديمة .

---

(9) Galbraith Welch. North African Prelude. New York : William Morrow and Company, 1949. P. 88.

ويكشف اسرائيل زانجويل فى مقدمته التاريخية السياسية حقائق تاريخية هامة جدا تفيد فى معرفة الكثير من اسرار الاطماع الصهيونية فى الوطن العربى سواء فى ليبيا أو فلسطين . ويلقى زانجويل الضوء على الكثير من المؤامرات التى لعبها اليهود فى كيان الدولة العثمانية ، وكيف ساهم بعض الصهاينة فى الاطاحة بالسلطان عبد الحميد الثانى ، ونظام حكومته بعد أن عارض الاطماع الصهيونية فى فلسطين وقد حاولوا التودد اليه واغراءه ٠

ومقدمة زانجويل تفيد فى إلقاء الضوء على ثورة جماعة الاتحاد والترقى وقد رحب العرب بتلك الثورة واعتبروها بداية للحياة الدستورية . وهكذا نجح الصهاينة فى خديعة العرب كما نجحوا فى الكثير من الادوار التى اتقنوا تمثيلها لخدعة العرب . إن دراسة هذه المقدمة التاريخية السياسية التى كتبها اسرائيل زانجويل مفيدة لكل من يصدر نفسه لدراسة نهاية الدولة العثمانية والاطماع الصهيونية فى الوطن العربى ، وهذا هو سر اختفاء هذا الكتاب من محلات بيع الكتب وصعوبة استعارته من المكتبات العامة الموجودة فى الدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية ٠

بعد المقدمة التاريخية السياسية التى كتبها اسرائيل زانجويل للكتاب الأزرق يأتى التقرير العام الذى أعده الاستاذ ج٠ و٠ جريجورى J.W. Gregory عن البعثة الموفدة الى برقة وقد كان رئيسا لها . ويبدأ الاستاذ جريجورى تقريره بوصف جغرافى عام لشبه جزيرة برقة من حيث الموقع والحدود ، وما تتمتع به من مميزات جغرافية جعلتها تتمتع بحياة الرخاء والازدهار فى العصور القديمة وتحتل فيها مركزا هاما من مراكز الحضارة الانسانية . ويقدم الكاتب مقارنة بين ما كانت عليه البلاد من رخاء وحياة مزدهرة وما أصبحت عليه من قلة فى السكان وتأخر فى الحياة الحضارية مستشهدا فى ذلك بأقوال بعض الرحالة المعاصرين له والذين سمحت لهم الظروف بالتجول فيها وما سجلوه من ملاحظات الاعجاب بمعالم الطبيعة فيها . وقد حاول جريجورى تعليل ما آل اليه الحال فى برقة من إهمال وتدهور بذكر الاسباب الآتية :

1 ـ احتمال فساد التربة بالرمال التى حملت اليها من الصحارى الجنوبية ٠

2 ـ احتمال تغير المناخ مع نقص فى الامطار كما حدث فى بقية اجزاء ولاية طرابلس الغرب كما لاحظ ذلك الرحالة الانجليزى كوبر COWPER وكما سجله الرحالة الانجليزى فيسكر فى شرقى البحر الابيض المتوسط ٠

3 ـ ربما كان التغيير المناخى يعود الى ما طرأ على غابات الجبل الاخضر التى أزيلت مما أدى الى قلة الامطار فى الكمية ٠

4 ـ منذ أن تعرضت البلاد الى عملية إبادة السكان بالحرب فى العهد الرومانى فان الاحوال السياسية ربما منعت باستمرار إعادة توطين شعب مستقر . وهذا هو أول عمل ضرورى لاعادة الرخاء الى البلاد . وما زال فى نظره هذا الاستقرار السكانى متأخرا بسبب عدم استقرار الحكم التركى فى البلاد ٠

5 ـ إن ما قيل عن حالة برقة فى التاريخ القديم من حيث كثرة السكان ووفرة الرخاء كان مبالغا فيه ، وربما كانت قيمة البلاد فى العصور القديمة ترجع الى مميزات خاصة لا وجود لها فيما بعد . لقد استوطن برقة فى أول الامر قوم من اللاجئين جاءوا اليها من جزر اليونان ، وربما زادت قيمتها فيما بعد بنوع معين من الانتاج أو بسبب وقوعها على الطريق فيما بين مصر والجزائر ، وربما اعتمدت البلاد على مياه الامطار مباشرة والعناية بتخزين مياه المطر ٠

ويميل جريجورى الى الاخذ بالتعليل الخامس من الاسباب التى حاول أن يعلل بها التحول الكبير الذى طرأ على البلاد . وهو يأخذ بهذا الرأى نتيجة للشواهد التى جمعها أثناء نشاط البعثة فى الجبل الاخضر . ويقول جريجورى أنه وجد تربة البلاد لا تحتوى إلا على كمية قليلة من الرمال وإنها لم تتأثر برياح الجنوب على الاطلاق . وليس هناك أى دليل مقبول بخصوص أى تغيير فى المناخ ، والاحوال الجغرافية التى شاهدها بدت له كما كانت منذ ألفى سنة ، فالجراد لا يوجد بكثرة ، والعيون كما هى من حيث

العدد والكمية ، ومورد الماء لم يكن أقل مما كان عليه فى الأزمنة القديمة . إن أعظم الاعمال الرومانية التى قاموا بها فى البلاد كانت تلك المنشآت التى عملوها لحفظ المياه ۰ وبدت له البلاد قد تعودت على قلة المياه وقلة المحاصيل ۰

وقال جريجورى : إنه لا يوجد سبب يمنع البلاد من استعادة رخائها القديم بجلب معمرين لاجئين مرة اخرى من جنوبى أوربا ، وهو يشير بذلك الى لاجىء اليهود الذين تركوا روسيا ورومانيا ۰ ولهذا رأى جريجورى وزملاؤه أنه فى الامكان تقديم تقرير مناسب لصلاحية برقة للاستيطان لأن كل المعلومات التى وصلت اليها البعثة قد لونت البلاد بألوان زاهية ۰ لقد وصفت التربة على أنها خصبة بشكل غير عادى مع المناخ الجيد والأمطار التى تصل الى ما بين 18 ، 20 بوصة فى السنة مع هطولها فى وقت الحاجة اليها ۰ كل هذا الى جانب الاوضاع الجغرافية التى تبدو واضحة فى الخرط والشواهد الجيولوجية المتوفرة وكلها تبعث على الامل والتفاؤل ، هكذا بدأ جريجورى تقريره الجيولوجى وقد سجل نتائج دراسته التى وصل اليها فيما بعد ۰

اعترف جريجورى فى تقريره بأن وقت البعثة المخصص لمهمتها فى برقة كان قصيرا لا يتمشى والهدف المقصود ، ومع هذا استطاع مع بقية زملائه فحص نماذج كثيرة من الاماكن التى زارتها البعثة لمعرفة امكانية الاستيطان فيها . علم جريجورى بوجود أراض واسعة جيدة فيما بين درنة والحدود المصرية ، ولكنه ذكر ان المساحة المزروعة فى تلك المنطقة لم تكن الا شريطا ضيقا بطول الساحل حسب ما جاء فى التقارير التى اطلع عليها . وذكر جريجورى أن رجب باشا سبق له أن حذر اعضاء البعثة باستحالة إعطاء أى امتياز فى اراضى تلك المنطقة لاعتبارات سياسية ، ولكنه لم يذكر لنا تلك الاعتبارات أو يلقى الضوء عليها . لقد عارض رجب باشا زيارة البعثة لمنطقة البمبة رغم صداقته للبعثة (15) . ولهذا ركزت البعثة اهتمامها على المنطقة الواقعة الى الغرب من درنة .

---

(15) الكتاب الازرق . ص 4

وكان جريجورى قد علم ان المنطقة الواقعة الى الشرق من درنة أقل صلاحية للاستيطان . ولم تكن تلك المنطقة ضمن المساحة التى طلب من البعثة دراستها . وكان اعضاء البعثة قد علموا أثناء وجودهم فى مدينة طرابلس أن الارض الواقعة الى الشرق من درنة كانت خصبة جدا الى جانب خلوها من السكان تقريبا ، ولهذا قام اعضاء البعثة برحلة بطول الطريق الى البمبة وقد شاهدوا سهولا واسعة فى المنطقة يقوم أهلها بزراعتها . كانت المساحة المزروعة ربما أوسع من تلك المساحة النسبية التى تقع مباشرة الى الغرب من درنة . وقد صادفت البعثة أعدادا من الجمال والدواب وهى محملة بالشعير ، واندهشت البعثة لوجود علامات كثيرة للزراعة والاستيطان . وقال جريجورى أن هذه المنطقة الواقعة الى الشرق من درنة يحتمل وجود اراض بها أحسن من اراضى الهضبة التى بالقرب من درنة ، ولكن خصوبتها النسبية فى الصيف السابق ربما كانت غير عادية بسبب جودة موسم المطر عما كان عليه فى الهضبة الواقعة الى الغرب من درنة .

إن منطقة برقة الرئيسية فى نظر جريجورى هى التى تقع فيما بين درنة وبنغازى ، وهى تتكون من هضبة عالية ، وهو يرى ان احسن الاراضى للاستعمار تقع فى المنطقة الشمالية من هذه الهضبة وعلى السهل الساحلى عند سفح هذه المنطقة لسقوط أكثر الامطار الشتوية فيها ولرطوبتها بالندى فى فصل الصيف . أما المناطق الجنوبية فتتلاشى فيها الامطار وتحل فيها الاعشاب حتى تنعدم تدريجيا بدلا من الاحراش التى تنمو على شمالى الهضبة وساحلها .

وناقش جريجورى موضوع المعادن وحكم بعدم وجودها فى تقريره بعد أن قارن بين برقة وتونس والجزائر من حيث مادة الفوسفاط التى لا وجود لها فى برقة ، فى الوقت الذى وجدت فيه هذه المادة فى كل من تونس والجزائر .

ويعتبر الجزء الذى كتبه جريجورى فى تقريره بخصوص جيولوجية برقة دراسة هامة فى هذا الموضوع لتخصصه كاستاذ للجيولوجيا فى جامعة جلاسجو . وهو يقول : إن تطوير برقة

يعتمد على مصادرها الزراعية والرعوية كما حدث لها فى السابق . وهذا بدوره يعتمد على التربة ونوعيتها ومميزاتها وعلى المورد المائى اللازم لقيام الزراعة . وهذا ايضا يعتمد بدوره على التكوين الجيولوجي للمنطقة · إن المعلومات السابقة عن جيولوجية برقة قبل مجيء بعثة جريجورى لم تكن موجودة مع أنه يسلم بأهمية موقع برقة على شواطىء البحر الابيض المتوسط وفرضية اهتمام العلماء ببرقة بحكم موقعها الجغرافى . أما أول معلومات وصلتنا فى العصر الحديث عن صخور برقة وتكوينها فقد كانت عن طريق الرسائل التى كتبها ديلا تشيلا DELLA CELLA الطبيب الايطالى الذى زار برقة كطبيب خاص للحملة التأديبية التى أرسلها يوسف باشا القره مانلى الى برقة فى 1817 ، لقد أشار هذا الطبيب الايطالى الى وجود بعض الصخور الجيولوجية ولكن قوله هذا لم يتأكد بعد لجريجورى (11) ·

وفى 1890 قام بلايفير PLAYFAIR بصفته رئيسا للرابطة البريطانية BRITISH ASSOCIATION بالقاء حديث فى القسم الجغرافى بالرابطة ، وأشار فى ذلك الحديث الى جغرافية برقة ، وكان بهذا الحديث اشارات الى جيولوجية برقة ·

وفى هذه الخلاصة الجيولوجية التى ضمنها جريجورى فى تقريره يعطى تعليلا علميا لوجود عين شحات فى رأس هضبة قورينا وانسياب المياه منها . وينهى تقريره الجيولوجى لبرقة بتخطئة ما قاله الطبيب الايطالى ديلا تشيلا بخصوص التكوين الجيولوجى لهضبة برقة (12) ·

ويعطى جريجورى اهتمامه لدراسة المورد المائى للبلاد وهو يشعر أن ما وصل اليه من معلومات جيولوجية قد أتى على كل أمل له فى وجود مورد سهل للمياه ، لأن أمطار الشتاء التى تسقط على هضبة الجبل الاخضر تنساب بسهولة عبر الصخور المسامية الى البحر بالاضافة الى ما يفقد من مياه الامطار بفعل عملية البخر اليومى . وقد دفعته هذه النتيجة العلمية التى وصل اليها الى تعليل وجود عين شحات وبعض العيون الاخرى الموجودة فى الجبل

(11) Ibid. P. 5.
(12) Ibid.

الاخضر وفى منطقة القبة بالذات . ويختم جريجورى كلامه عن المورد المائى بما قاله زميله فى البعثة المستر دف بخصوص استحالة الاعتماد على هذا النوع من المصادر المائية دون القيام ببعض التجارب للاستفادة من هذه العيون بقدر المستطاع (13) .

والكلام عن المورد المائى لبرقة يجر جريجورى فى تقريره الى الحديث عن الامطار التى تهطل على برقة ، وهو يقول : إن البلاد اعتمدت فى الماضى وستظل تعتمد دائما فى مياهها على الامطار المباشرة . ويقول جريجورى : إن التقارير العامة بخصوص أمطار برقة والتى تحصل عليها قبل مجيئه كانت مشجعة . وقد استعان بالبيانات التى قدمها من قبل الرحالة فيسكر بخصوص كمية الامطار السنوية فى برقة وهى ما بين 14 ، 20 بوصة فى السنة . وهذه الكمية تعادل امطار اسبانيا أو المجر أو جنوبى روسيا . واعتمد جريجورى ايضا فى دراسته لأمطار برقة على ما ذكره أطلس بارثو لوميو لعلم الظواهر الجوية (*) فى 1899 حيث اعطت السلطات البريطانية فى اللوحة رقم 18 من الاطلس المذكور امطارا لبرقة فيما بين 10 ، 20 بوصة فى السنة . ويرى جريجورى أن هذه الكمية من المطر تساوى نصف امطار اسبانيا وتساوى ايضا أمطار معظم جنوبى روسيا ، وهى تساوى ايضا بالتقريب أمطار فنلندا أو أمطار شمالى السويد . ويستمر جريجورى فى إعطاء المتوسط السنوى للامطار التى تسقط فى المنطقة حسب ما ذكرته المصادر المختلفة .

وقد لاحظ جريجورى أن أمطار برقة تسقط فى فصل الشتاء حيث الحاجة اليها وحيث تقل نسبة التبخر ، وأنها تسقط فى زوابع عنيفة مما يساعد على ملء خزانات المياه فى وقت قصير . وقد رأى أن كمية الامطار اذا كانت فيما بين 18 ، 20 بوصة مع سقوطها فى فصل الشتاء فى زوابع عنيفة على أرض ذات أحواض كثيرة ووديان عميقة تصلح أن تكون مياها للحفظ فى خزانات .

---

(13) Ibid. P. 6.

(*) Bartholomew's Atlas of Meteorology

ولقد شعر جريجورى بخيبة أمل كبيرة عندما وجد سجلات الامطار لفترات طويلة قد قللت من متوسط كمية الامطار ، وهو يقدم شكره للدكتور شو رئيس مكتبة الظواهر الجوية الذى أعطاه نسخة من سجلات الامطار لمدينة بنغازى ابتداء من 1891 حتى 1904 . واظهرت هذه السجلات أن متوسط الامطار فى هذه السنوات الخمس عشرة هو ½ 10 بوصة فقط . هذا وقد لاحظ المستر دف جفاف الاودية وعدم سيلانها طيلة السنوات الماضية . ولهذا فان حفظ مياه الامطار بمقياس كبير سيكون صعبا الى جانب تكاليفه الكثيرة . وهى عملية غير اقتصادية حسب رأى زميله المستر دف .

وعلينا أن نلاحظ أن جريجورى قدم دراسته عن الامطار وهو الذى زار البلاد فى فصل الصيف وفى اشد شهور الصيف جفافا « يوليو ـ أغسطس » ، ولهذا لم تكن هذه الدراسة نتيجة مشاهدة ودراسة واقعية بل جاءت مستقاة من السجلات والمصادر الشفهية المسموعة .

وبعد ذلك تحدث جريجورى عن التربة فى منطقة الجبل الاخضر وقد أعطى تعليلا لحمرة التربة هناك مع الاشارة الى غنى هذه التربة ومميزاتها من حيث الاحتفاظ بالرطوبة والمورد المائى . وهذه التربة تعطى محصولا وافرا للنباتات التى تصلح للزراعة فى برقة . ويشير جريجورى الى تقارير زميله تروتر . وكلها تشيد بالقيمة الزراعية لتربة برقة . ويصف تقرير جريجورى سهل المرج ، وكيفية تكوينه مع مرور الزمن مع الاشادة بتربته ذات الخصائص الممتازة . ويختم جريجورى كلامه عن التربة بالاشارة الى أهمية التربة فى بعض الاودية وفى بعض المناطق الواقعة الى الجنوب من شحات .

ويشمل تقرير جريجورى تصنيفا للاراضى التى زارتها البعثة فى برقة . وقد زود تقريره بقائمة بها أنواع الاراضى التى تم مسحها . ويعطى جريجورى فى هذا الجزء من تقريره تقديره لعدد السكان الموجودين وما يمكن أن تستوعبه المنطقة من سكان جدد اذا أدخلت الزراعة الحديثة فى البلاد وما يتطلبه ذلك من تحسين

لوسائل النقل بمد السكك الحديدية وقيام بعض الصناعات الزراعية لسد حاجة المنتجين الزراعيين . ويعطى جريجورى إحصائية سكانية لبعض الدول للاستنارة بها في هذا الخصوص من حيث استيعاب الميل المربع لعدد معين من السكان .

وفي رأيه أنه اذا تم توطين أربعة آلاف وخمسمائة ميل مربع من أراضى برقة بكثافة سكانية تساوى الكثافة السكانية فى بروسيا فان مجموع سكان برقة يمكن أن يكون مليونا وربع المليون ، ولكن ليس من السهل توقع مثل هذا العدد من السكان بدون توزيع موارد مياه حقيقية مع التحكم فى توزيع المياه القليلة فى برقة فى فصول الجفاف . وهذا ما يتعذر تحقيقه حسب التجربة الخاصة التي قام بها اثناء مهمته الدراسية .

لقد حاولت البعثة اليهودية السفر من شحات الى المرج من الطريق الجنوبى المنحنى ولكنها نصحت بترك الفكرة لصعوبة الطريق ولعدم وجود المياه اللازمة . ولهذا سلكت البعثة فى سفرها الطريق الشمالى . وقد قطعت البعثة المسافة فيما بين درنة وشحات مع وصف المصادر المائية طيلة الرحلة . وفعلت البعثة نفس الشيء فى بقية اجزاء الرحلة الى المرج ومنها الى مدينة بنغازى .

ويتحدث جريجورى عن سكان برقة وقلة عددهم ، ويعزو ذلك الى قلة المياه ، ويشير الى حجم سكان برقة فى العصور القديمة مع اعتقاده بأن الكتاب قد بالغوا فى تقدير عدد سكان برقة فى العصور القديمة . وهو يشك فى صحة بعض الاعداد التى ورد ذكرها خصوصا ما كان منها متعلقا بالعدد الكبير من قتلى الاغريق والرومان الذين قتلهم اليهود فى ثورتهم الكبرى فى ١١٥ م . وقد قدر بعض المؤرخين عدد الضحايا بمائتين وعشرين الف قتيل (14) . ويحاول جريجورى الاستشهاد بأقوال بعض الكتاب الذين جاء قولهم مؤيدا لنظريته (15) ، ويناقش جريجورى

(14) الكتاب الازرق ، ص ١٥

(15) **Ibid.**

موضوع عدد سكان البلاد في العصور القديمة على ضوء دراسة بقايا الآثار الموجودة والاستدلال بها على امكانية البلاد في استيعاب سكانها . وكان ملعب شحات الأثرى وبقايا خزانات المياه فى الصفصاف من أهم الآثار التى اعتمد عليها فى تقدير سكان قورينا فى تاريخها القديم .

وينتقل جريجورى بعد ذلك الى الحديث عن عدد سكان برقة وقت مجيء البعثة اليهودية فى مهمتها الاستطلاعية محاولا الاستعانة بالسلطات العثمانية فى هذا الخصوص ، ويزود جريجورى تقريره بقائمة بها بيانات عن عدد سكان البلاد حسب ما ذكرته بعض القنصليات الاجنبية في بنغازى ، وحسب ما ذكره بعض الرحالة الاوربيين الذين تمكنوا من زيارة برقة . وبدراسة هذه القائمة نجد تفاوتا كبيرا فى تقدير عدد سكان برقة علما بأن تلك البيانات السكانية قد أخذت فى سنوات مختلفة حسب تاريخ التقارير التى وردت بها أو حسب تاريخ مجيء الرحالة الى البلاد . وقد ناقش جريجورى البيانات السكانية التى أوردها الرحالة وأظهر ما فيها من خطأ فى التقدير . وهو فى هذه المناقشة يعتمد على ما تنتجه البلاد من محصول الشعير على اساس القدرة العائلية وعدد أفرادها والمساحة المزروعة ومتوسط ما تنتجه كل أسرة فى حدود التوزيع العام لمحصول الشعير على أساس ما صدر منه وما تم تخزينه للطوارىء والاستعمال العائلى فى الحياة اليومية .

وتفيد هذه البيانات السكانية التى جمعها جريجورى في دراسة تاريخ تطور السكان في برقة في القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين . واستطاع جريجورى على أساس تخمينه لعدد سكان برقة أن يقدر عدد الاسلحة من بنادق وما يمكن استنفاره من قوة دفاعية في حالة تعرض البلاد لاى هجوم خارجى (16) .

وأخيرا نجد جريجورى يقدر عدد سكان برقة بمائة ألف نسمة وإن كان لا يمانع فى تقديرهم بمائتى ألف نسمة . وعلى هذا الاساس من التقدير فانه رأى ليس فى امكانية البلاد استيعاب

(16) **Ibid. P 11**

أعداد كبيرة من المهاجرين لتوطينهم فيها (17) ·

ويقوم جريجورى فى تقريره بتقديم الوسائل الكفيلة بانجاح مشروع توطين المهاجرين اذا روعيت الاسس الآتية :

1 ـ الاحوال السياسية المستقرة تساعد كثيرا على الاستفادة من الموارد المائية الموجودة بطريقة اقتصادية أكثر ، ولهذا كان لا بد من الاستقرار السياسى للبلاد ·

2 ـ استخدام الطرق الزراعية المتقدمة يساعد البلاد على استيعاب سكان أكثر مما هى عليه ·

3 ـ ضرورة الحذر فى عملية تهجير المعمرين اليهود الى برقة مع التأكد من الحصول على المورد المائى للاغراض المحلية ، إن المجىء بجماعات الى ارض جديدة دون توفير المورد المائى للشرب فى فصل الصيف يسبب كارثة وفشلا للخطة المطلوبة ·

4 ـ البدء باقامة المستعمرات اليهودية فى شحات لسهولة إقامتها هناك مع ضرورة تخزين مياه عين شحات ليلا فى خزانات وكذلك بالنسبة لمياه الامطار فى الشتاء . وبعد ذلك تتوسع عملية انشاء المستعمرات على نطاق أوسع فى سهول المرج ، وهو يرى ضرورة بناء البيوت بشكل خاص حتى يمكن جمع مياه الامطار من على سقوف المنازل فى خزانات خاصة لكل بيت للاستعمال اليومى للعائلة ·

5 ـ يمكن تقليل مصاعب انشاء المستعمرات اليهودية اذا تم انشاؤها على التوالى فى فصول رطبة ، ولكن اذا تم انشاؤها فى فصول الجفاف فان المستوطنين سيعتمدون على المياه المخزونة بطريقة صناعية مما يزيد فى المتاعب والتكاليف ·

6 ـ لا بد من وجود رأس مال احتياطى للاستفادة من المستوطنين فى فصول الجفاف فى بناء الطرق والسكك الحديدية والاشغال العامة لاستيعاب المهاجرين فى أعمال تعود عليهم وعلى البلاد بالفائدة بدلا من تعريضهم للمجاعة دون استعداد ، وتاريخ

---

(17) Ibid.

برقة الحديث يكشف عن مدى قسوة هذه المجاعات على سكانها . ففي 1893 قل عدد سكان البلاد نتيجة للوباء الذى حل بها بعد مجاعة قاسية بسبب قلة أمطار شتاء 1891 ـ 1892 . وفي شتاء 1908 قلت الامطار في منطقة بنغازى حتى استورد أهلها الطعام بسبب تدهور المحصول الزراعى تماما فى غربى برقة فى الوقت الذى كانت فيه أمطار المنطقة الواقعة الى الشرق من درنة جيدة مما جعل أهل بنغازى يستوردون منها ما احتاجوه من شعير . ولهذا كان لا بد من امداد أى خطة استيطانية بالاحتياط اللازم لمواجهة مثل هذه السنوات الجافة ·

هذه هي أهم النقط الاساسية التى نصح جريجورى باتباعها فى تنفيذ عملية توطين المهاجرين اليهود فى الجبل الاخضر لضمان نجاح مشروع المنظمة اليهودية . ويبدو أن الايطاليين قد استفادوا كثيرا من هذه الدراسة التى أعدها جريجورى عندما أخذوا يخططون ويعملون لانشاء المستعمرات الايطالية في الجبل الاخضر في الثلاثينات من القرن الحالي ، وفي عهد بالبو بالذات الذى تبنى توطين العائلات الايطالية فى ليبيا ·

ولم ينس جريجورى أن يلفت نظر المنظمة اليهودية الى ضرورة الاهتمام بدراسة الاحوال السياسية للمنطقة بشكل واسع ، لأن مهمته في البعثة الموفدة كانت قاصرة على دراسة الاحوال الاقتصادية للبلاد ومواردها الطبيعية على أسس علمية واضحة . ومع هذا نجد جريجورى يلفت نظر المنظمة اليهودية الى حقيقة هامة تتعلق بما لاحظه على سكان المنطقة من روح عسكرية الى جانب كثرة البنادق عندهم . ولهذا طلب من المنظمة الا تتوقع من أهالى المنطقة ترحيبا بالمستعمرين الاجانب بل عليها أن تتوقع منهم مقاومة . وبرقة هي قاعدة الدعوة السنوسية التى وضع أسسها السيد محمد بن على السنوسي ، ولهذا نراه يلفت نظر المنظمة الى ضرورة الاهتمام بموقف الدعوة السنوسية والعمل على كسبها حتى لا تكون مناهضة للمشروع اليهودى . ويرسم جريجورى الطريقة التى يمكن للمنظمة اليهودية أن تكسب بها جانب الدعوة السنوسية في برقة حتى تأمن سلامة خطواتها فى تنفيذ مشروعها

الاستعماري فى الجبل الاخضر ، ولكن جريجوري في تقديره للموقف لم يكن موفقا إذ بالغ في ضمان نجاح السياسة التي رسمها للمنظمة على أثر زيارته للمنطقة ودراسة أحوالها .

ورغم قصر المدة التي أمضاها جريجوري في برقة إلا أنه أدرك مدى الارتباط الكائن بين السلطات العثمانية واهالي برقة في ذلك الوقت رغم ما كان يبدو من خلاف بين الطرفين بسبب الاجراءات الادارية ، وما اقترنت به من ضرائب وتصرفات فردية من جانب السلطات العثمانية ، وما اشتهر به الاهالي من تمرد على السلطة بغض النظر عن أهدافها العامة . لاحظ جريجوري أن أهالي المنطقة كانوا أكثر وفاقا مع السلطات العثمانية مع اعترافهم بأن السيادة العثمانية هي الحارس الوحيد لهم ضد أي عدوان قد تقوم به بعض الدول الاخرى (18) . ومع هذا سجل لنا جريجوري في تقريره اسمية السلطة العثمانية هناك وحرية الاهالي في ادارة شؤونهم . وسجل جريجوري كذلك الاخبار التي وصلته عن وقوع بعض القلاقل التي قام بها العرب في مدينة المرج بعد ترك البعثة للمدينة مباشرة . ولم ينجح جريجوري في الحصول على معلومات صحيحة عن تلك القلاقل التي اكتفى بتسجيل خبر وقوعها (19) .

ويقول جريجوري : إن الاتراك كانوا يعرفون حدا لتدخلهم في شؤون عرب ليبيا . وقد أتيحت للاتراك في الاعوام الاخيرة أكثر من مناسبة لتعديل سياستهم مع أهل برقة حتى يتجنبوا الاصطدام معهم . ولهذا فهو ينصح المسؤولين في المنظمة اليهودية بعمل الترتيبات اللازمة مع الاتراك لحماية المستعمرات اليهودية عند انشائها ، لتفادى التكاليف الباهظة جدا على حد قوله ، لحماية هذه المستعمرات اليهودية بعد إنشائها بواسطة اى قوة عسكرية أخرى (20) .

وهنا نجد جريجوري يشير الى المحاولات السابقة التي قامت بها الدولة العثمانية بخصوص توطين بعض اللاجئين من

(18) Ibid. P. 13

(19) Ibid.

(20) Ibid.

الشراكسة والكريتيين في برقة ، ويقول ان جهود الاتراك لم تنجح بخصوص الشركسة ولكنها نجحت الى حد ما بالنسبة لبعض الكريتيين الذين استوطنوا في بلدة سوسة (21) .

ويشير جريجورى أيضا الى أطماع ايطاليا في البلاد ، وقد قامت السلطات الايطالية بدراسات كثيرة في البلاد فيما بين 1880 ، 1885 واستمرت في أطماعها وهي تحاول توسيع نفوذها عن طريق فتح بعض المدارس وتنمية التجارة ، ولكن كان على الايطاليين أن يتحققوا بصفة عامة من صعوبة استيطانهم في البلاد لما سيواجهونه من عداوة الاتراك والعرب الليبيين لأى محاولة يبذلونها للاستيلاء على بلادهم .

وهكذا جاء تقرير جريجورى شاملا للجوانب العلمية الى جانب اشاراته السياسية الهامة التي ضمنها تقريره ، ويختم جريجورى كلامه بخلاصة وافية لأهم النقط التي أوردها في تقريره ، مضيفا اليها النصيحة التي سمعها من رجب باشا بخصوص ضرورة تجنب عبارة « الاستقلال الذاتى » كأى شرط لأى امتياز يعطى للمنظمة اليهودية مع ضمان الحرية المالية والدينية للمستعمرة اليهودية الجديدة في برقة . أما سلطات الوالى التركى على المستعمرة اليهودية والترتيبات السياسية للبلاد فانها تكون بواسطة سلطات تركية ، مع تحديدها بوضوح في الاتفاق الذى يتم بين المنظمة اليهودية والسلطات العثمانية (22) .

ويضم الكتاب الأزرق تقريرا وافيا عن الأوضاع الزراعية في برقة . وقد أعد هذا التقرير جون تروتر بصفته المكلف بهذه الناحية كعضو في بعثة « منظمة الاراضى اليهودية » الموفدة الى برقة ، وجاء هذا التقرير الزراعى بتاريخ 25 نوفمبر 1908 أى بعد عودة تاريخ البعثة الى لندن .

بدأ تروتر تقريره بالحديث عن تضاريس المنطقة وسطحها وتربتها من حيث اللون وعناصر تكوينها . وقد قسم التربة الى

---

(21) Ibid.
(22) Ibid. P. 14

عدة أنواع . ويعطى تروتر وصفا لـدرنة ، ووواديهـا ، ومواردهـا المائية ، وكيفية نقلها ، ورى أراضيها الزراعية على جانبى الوادى بالمياه التى كانت تأتيها من أعلى المدينة . ويشير الكاتب الى تسرب الكثير من المياه قبل وصولها الى المدينة نفسها ، ومع هذا فان المياه كانت كافية لرى الاراضى المجاورة . ويعطى صاحب التقرير بيانا بالانتاج النباتى للمنطقة من فواكه ومحاصيل . وقد قدر عدد سكان مدينة درنة فى ذلك الوقت بسبعـة آلاف نسمـة (23) . ويشيـر التقرير الى منطقة الفتايح التى تقع على قمة الهضبة الشرقية لمدينة درنة والتى قدر مساحتها فيما بين 15 ، 20 ميلا مربعا . وتعتمـد منطقة الفتايح تماما فى زراعتها على مياه الامطار . ويبدو أن صاحب التقرير قد اخطأ فى تقدير مساحة الفتايح لانها تبدو أكبر مساحة مما ذكره .

ويشير أيضا الى المساحات المقطعة المزروعـة فيمـا بين درنـة وشحـات . ويعطى وصفا للاراضى الواقعة على الساحل الى الغـرب من درنة . ويستمر التقرير فى وصفـه لجميع المناطق التى مرت بها البعثة حتى مدينة بنغازى التى قدر عدد سكانها بخمسة عشـر ألف نسمة (24) . وقد اشتغل عدد قليل من سكان بنغازى بالـزراعة . وأبدى تروتر إعجـابه بالبسـاتين التى حـول بنغـازى من حيث الزراعة . وكان رى هذه البسـاتين يتم بواسطة الآبـار التى كانت الملوحة تشوب مياهها (25) .

وبعد هذا الوصف العام الذى أعطاه تروتر للمنطقة ابتـداء من درنة شرقا حتى بنغازى غربا انتقل الى الحديث عن الامطار وبقيـة عناصر المناخ لاعتماد البلاد على الامطار باستثنـاء بعض المنـاطق القليلة التى كانت تعتمد على الآبار . ويعطى التقرير وصفا لخزانات المياه القديمة فى الصفصاف وامكانياتها المائية لخدمة مدينة شحات فى العصر القديم مع عمل مقارنة بين ما كانت عليه الزراعة قديما والوقت الذى جاءت فيه البعثة على أساس الموارد المائية . ويصف

---

(23) Ibid. P. 15

(24) Ibid. P. 18

(25) Ibid.

التقرير مناخ البلاد بأنه ممتاز ويصلح لانبات معظم المحاصيل . ويعطى تروتر وصفا مختصرا لحالة النبات فى المناطق التى زارها .

أما بخصوص الحيوانات فقد أعطى التقرير بيانا بالحيوانات التى تعيش فى المنطقة ويشيد بمهارة العرب فى تربية الحيوانات ، وخاصة الجمال والخيول والماشية والاغنام التى يصدرون منها أعدادا كبيرة الى البلاد الاخرى . ويشير التقرير الى الطيور التى تعيش فى البلاد ومدى خطورة بعضها على المحاصيل الزراعية . ولهذا نجد تروتر ينصح بشن حملة على اليمام الموجود فى شحات لخطورته على المحاصيل كما فعلت الطيور فى السودان حيث قضت على ربع المحاصيل . ولا ينسى صاحب التقرير ان يشير الى الحشرات الموجودة فى البلاد وأنواعها .

وبعد ذلك ينتقل تروتر الى الحديث عن طرق الزراعة التى شاهدها والتى وجدها لا تختلف كثيرا عما كانت عليه فى العصور القديمة . ولا يتبع الفلاحون نظام الدورات الزراعية باستثناء الحال فى منطقة بنغازى ومنطقة درنة ، وهو يرى إمكانية مضاعفة المحاصيل باستعمال الطرق الزراعية الحديثة والحصول على معلومات دقيقة عن الامطار فى المناطق الداخلية .

وقدم تروتر مشروعا بالخطوات الاساسية التى رآها ضرورية لتحقيق توطين اليهود فى برقة ، وتتلخص هذه الخطوات فى النقط الآتية :

1 ـ نصح أولا بضرورة السيطرة على البلاد كلها وامتلاك العيون المائية بشرائها لأن أهل البلاد كانوا مسلحين والاستيلاء على العيون المائية بالقوة يكلف الكثير فى مقابل اخضاع أهل البلاد ، ولكن السيطرة على البلاد من درنة الى بنغازى ضرورى لتحقيق نجاح مشروع توطين اليهود .

2 ـ بعد الاستيلاء على البلاد يعطى الاهتمام الى المناطق المشجرة ، وتبدأ عملية ضمان مورد للاخشاب للايام المقبلة وفى نفس الوقت لا بد من الحصول على حماية المناطق العارية فى البلاد . ولما كان الخشب هو الوقود الوحيد الذى يمكن الحصول

عليه فى البلاد لهذا كان من غير المعقول تدمير الخشب الموجود دون إحلال ما يحل مكانه . ويستعمل الخشب المقطوع للوقود وللاغـراض الاقتصادية الاخرى ، فالفحم الذى يستورد من الخارج غالى الثمن ٠

3 ـ ضرورة وضع الغابات والاحراش منذ البداية تحت إشراف دقيق ، ويمنع الاهالى من قطع الاشجار وتدميرهـا ٠ ويمكن إزالـة الاشجـار والاحـراش عند الحـاجة ، ولكن لا بد من زراعة الارض بالحبوب أو إعادة استنباتها . ويجب أخذ قائمة بكل الاشجار التى ارتفاعها يزيد عن العشرين قدما مع الرقم التقديرى للاقدام المكعبة لكل شجرة وتحديد موقع هذه الاشجار ، ولا يسمح لاى فرد بقطع أى شجرة لاستعماله الخاص بدون أخذ موافقة المراقب المسؤول عن الاشجار . وتوقع تروتر أن يكون المستوطنون الاوائل أكثر تدميرا للاشجار بسبب الجهل وليس بسبب العمل المتعمد . ولهذا كان من الحكمة فى رأيه اتخاذ اجراءات المنـع منذ البدايـة . خلاصة القـول أن تروتر أعطى اهتمامه الكبير لضرورة حماية ثروة الغابات ٠

4 ـ تقسيم الارض الى مساحات تتراوح ما بين عشرين وثلاثين فدانا (*) ، بحيث تكون كل مساحة صالحة لعيشة أسرة واحـدة وإن كان تروتر قد فضل التقسيم على أساس ثلاثين فدانا ٠

5 ـ طالب بضرورة أخذ الضـرائب من المستوطنين اليهود على أن تكون خفيفة . وتخصص هذه الضرائب لمواجهة طلبـات البنـاء والطرق ونفقات الشرطة وحراسة الغابات والاغـراض العمـرانية الاخرى . وقد استحسن صاحب التقرير فرض هذه الضرائب من البداية لتجنب أى متاعب أو عدم الرضا فيما بعد ٠

6 ـ ضرورة اتباع الدورات الزراعية ويبين تروتر فائدة اتباع مثل هذه الدورة باعطاء مثال لذلك باختيـار مساحـة من الارض تبلغ 28 فدانا ٠

7 ـ نصح تروتر بأن يتبع المستوطنون القادمون الاسس العامة التى اتبعها العرب أهل البلاد لبساطتها ولانها أكثر اقتصادا ٠

8 ـ ينصح بأن يكون عدد الوافدين فى السنة الاولى قليلا حتى

(*) الهكتار يساوى فدانين ونصف

لا يسبب الطلب المفاجيء للحيوانات اللازمة ارتفاعا فى الاسعار .
واذا بقيت المصاريف قليلة فستكون هناك فرصة للتنمية المقبلة .

9 ـ لاسباب سياسية ينصح بعدم صرف أموال للعرب أكثر مما هو ضرورى لانهم يملكون عددا لا بأس به من البنادق والرصاص اللازم لها . وفى زيادة اعطائهم المال الفائض فرصة لتزويدهم أكثر بوسائل خلق المتاعب فى المستقبل لجيرانهم القادمين للعيش معهم فى المنطقة . ويقوم تروتر بعمل مقارنة فى هذا الخصوص بما حدث فى السوادن .

10 ـ نصح بضرورة قيام المستوطنين أنفسهم بالاعمال اللازمة لمستوطناتهم مع تأجيل الاعمال الكبيرة التى تحتاج الى اعداد كبيرة من الرجال الى ما بعد عندما تتواجد الاعداد اللازمة من الرجال . وهذه السياسة تفيد فى أن يعطى المستوطنون فرصة مساعدة أنفسهم لانفسهم مع توفير الاجور لهم . وبهذه الطريقة لا تدخل عناصر أجنبية غير مرغوب فيها فى البلاد .

ويختم تروتر تقريره الزراعى باعطاء تقديره لتكاليف توطين الاسرة اليهودية بحوالى أربعين استرلينى ، ولكن هذا المبلغ لا يشمل بناء بيت السكن أو دفع تكاليف السفر .

وعند عودة البعثة بعد الانتهاء من مهمتها طلب رئيسها الاستاذ جريجورى من تروتر صاحب التقرير الزراعى زيارة احراش الزيتون فى جزيرة صقلية ومحاولة معرفة اسباب عدم انتاج اشجار الزيتون فى الجبل الاخضر ، وهى سليمة وليست مريضة ومحمية من الحشرات ، وهى دائمة الخضرة ، ولهذا نجد تروتر يتحدث فى تقريره عن زيارته لجزيرة صقلية لهذا الغرض . وقد قام باعطاء ملاحظاته بخصوص كيفية اصلاح اشجار الزيتون فى الجبل الاخضر حتى تعطى محصولها من الزيتون .

ويتناول تروتر فى تقريره الزراعى التحليلات الميكانيكية والكيمائية لتربة برقة حسب مناطقها المختلفة كما فعل فى منطقة سهل المرج الذى تكونت تربته الحمراء من التلال المحيطة بالسهل .
وقد زود تقريره بقوائم متعددة بالعناصر المختلفة التى تحويها

تربة كل منطقة . ولا ينسى تروتر أن يقارن تربة برقة بالتربة التى وجدها في كل من جزيرة مالطة وجزيرة صقلية .

ويختتم تروتر تقريره الزراعي بتحليل طبيعي للتربة فى برقة . ويسجل خلاصة تحليلاته في وصف تربة البلاد من الناحية الكيمائية والميكانيكية على أنها ممتازة مع جودة موقع البلاد . وقد جمع الكاتب 37 عينة من التربة من أماكن مختلفة فى البلاد على مسافات واسعة فيما بينها فى مناطق مختلفة ومن انواع مختلفة للتربة في مظهرها . وقد أثبت الفحص العلمى الدقيق أنها جميعا غنية في عناصر الخصوبة الشيء الذى وجده وحيدا فى تجربته الخاصة (26) .

ويتضمن الكتاب الأزرق أيضا تقريرا عن الموارد المائية والامكانيات الهندسية لبرقة ، وقد قام باعداد هذا التقرير كل من ميدلتون وهنتر ودف بالاشتراك سويا فى إعداده .

يذكر التقرير أن دف انضم الى اعضاء البعثة التى كان عليها زيارة برقة حسب الخطة التى أعدها الاستاذ جريجورى . ولهذا ترك دف لندن مع أعضاء البعثة يوم الخامس من يوليو 1908 . وكانت مهمته دراسة الموارد المائية للبلاد مع العناية الخاصة بالرى للاغراض الزراعية ، وتقديم نتائج دراسته فى تقرير خاص . وقد تعطلت البعثة عن الوصول الى درنة لاسباب خارجة عن إرادة اعضائها كما سبق تبيينه . وكان وصول البعثة الى درنة يوم الجمعة الموافق 24 يوليو 1908 . وقد رحب أعضاء البعثة برفقة الاستاذ ناحوم شلوش الذى انضم اليهم وهم فى الطريق الى برقة ، وانتهت مسيرة البعثة فى بنغازى يوم الجمعة 14 أغسطس . وقد وصل جريجورى والطبيب ادر والمستر دف الى لندن يوم الاربعاء 26 أغسطس . أما تروتر فقد بقى متخلفا يوما أو يومين لفحص أحراش الزيتون فى صقلية .

ويشتمل تقرير الموارد المائية والامكانيات الهندسية لبرقة على النقط الآتية :

---

(26) Ibid. P. 36.

1 ـ الانطباعات العامة لاعضاء البعثة عن المهمة التى قاموا بها ٠

2 ـ نسبة الانواع المختلفة للارض فى برقة ٠

3 ـ عرض الملاحظات الخاصة بالموارد المائية مثل الآبار والعيون٠

4 ـ النتائج التى وصلت اليها البعثة مثل احتمال الحصول على مورد مائى للرى وللاغراض المنزلية ٠

5 ـ النقل مثل الطرق والسكك الحديدية ٠

6 ـ الموانى ٠

7 ـ خلاصة عامة لهذا التقرير ٠

أما بخصوص الانطباعات العامة التى كونها أعضاء البعثة فقد لاحظوا أن جميع العرب الذين قابلوهم فى الرحلة كانوا مسلمين . وكان الاهالى يحصلون على الاسلحة بشرائها من تجار يونانيين يقومون بتهريبها الى البلاد فى مقابل أرباح مجزية ٠

أما الانطباع الثانى فقد كان بخصوص السيادة العثمانية إذ لاحظ اعضاء البعثة أن الاتراك ليس لديهم الاشراف القوى على العرب ، ولكن العرب كانوا الى حد ما يحترمون السلطة التركية التى كانت تخشى بدورها ممارسة أى ضغط عليهم حتى لا يقاومونها فتضطر الى استدعاء قوات كبيرة لفرض سيطرتها الشيء الذى كان يقلق راحة الاتراك (27) ٠

ثالث هذه الانطباعات كان بخصوص سكان البلاد الذين كانوا من العرب الذين كانوا يقومون بزراعة أرضهم ، وأنهم لا يقبلون دخول شعب جديد عليهم ليأخذ الارض منهم الامر الذى سيثيرهم لانهم لن يكونوا على استعداد للجلوس وهم يرون بلادهم أو على الاقل الارض التى يفلحونها تؤخذ منهم . ويقول التقرير : إنه من المحتمل القيام ببعض الاجراءات الودية للتغلب على هذه الصعوبة . ويشير التقرير الى ضرورة الاهتمام بهذه الناحية ٠

أما آخر هذه الانطباعات فقد كانت خاصة بمناخ البلاد وصلاحيته . لقد بدأت البعثة أعمالها فى الصيف وفى أشد شهور

---

(27) Ibid. P. 38.

السنة حرارة ولكنها كانت محتملة حتى بالنسبة لافراد البعثة القادمين من المناطق الشمالية الباردة . والملاحظ أن جميع التقارير قد أكدت روعة المناخ طيلة شهور السنة وخاصة فى شهور الشتاء . وقد ساعد هذا المناخ مع انعدام وجود المستنقعات على خلو المنطقة من الامراض العامة المعروفة .

وبعد هذه الملاحظات العامة التي سجل فيها اعضاء الفريق انطباعاتهم تناول التقرير نسبة الانواع المختلفة للارض فى برقة . وقد ركز الفريق على مساحة الارض الممتدة فيها شمال الخط الواصل بين بنغازى ورأس التين الى الشرق من درنة . وتبلغ هذه المساحة ستة آلاف ميل مربع ، وهى نفس المساحة التى تبدو خضراء فى الخريطة التى أثبتها هيلد براند فى كتابه عن برقة والتى وصفها بأنها قابلة للزراعة ، ويقول التقرير : إنه فى حالة استعمار البلاد فهناك خمسة آلاف ميل مربع أخرى ولكنها أقل جودة ، وتقع الى الجنوب من المساحة السابقة . وهذه المساحة الثانية يمكن الاستفادة منها فيما بعد . وقد بين التقرير هاتين المساحتين فى الخريطة التى أرفقها الفريق بتقريره .

وقام الفريق بأخذ عينة من الارض مساحتها 550 ميلا مربعا من الستة آلاف ميل مربعا وقسمها حسب أنواعها المختلفة الى خمسة أنواع مع مساحة كل نوع منها .

أما بخصوص الموارد المائية فقد اعترف هذا الفريق فى تقريره بأن البعثة قامت بزيارتها للبلاد فى اسوأ أحوالها الصعبة حيث فصل الجفاف يسود وخاصة فى يوليو وأغسطس . وقد سبق أن كانت الامطار قليلة فى الشتاء السابق . وقد تعمدت البعثة المجىء فى اسوأ الاحوال حتى يمكن معرفة المشروعات المائية اللازمة للتصميم لمواجهة مثل هذه الاحوال . والمعروف أن سجلات الامطار قد سجلت تناقصا مستمرا فى المطر بعد 1904 م (28) .

لقد شعر المستر دف رئيس هذا الفريق الذى أعد هذا التقرير بخيبة أمل كبيرة بخصوص الاوضاع المائية فى البلاد بشكل لم

---

(28) Ibid. P. 40

يتوقعه خصوصا وأنه قد سبق له الاطلاع على ما كتبه هيلد براند في كتابه وما ذكره الآخرون في المصادر الاخرى التي اطلع عليها .

ويستفيد المستر دف من الابحاث الجيولوجية التي قام بها رئيس البعثة الاستاذ جريجوري في تعليل أوضاع الموارد المائية السيئة بأن بنية البلاد تتكون من صخور جيرية مسامية كالغربال ولهذا فان الامطار التي تسقط في الشتاء تتسرب داخل هذه الصخور الى البحر (29) ، ولكن هناك مساحات صغيرة من الاحجار الجيرية المسامية توجد فيها بعض القيعان الصلبة التي تساعد على حفظ المياه وعدم تسربها ، وبالتالي سهولة ظهورها على وجه الارض كعيون وينابيع . وهذا هو ما يعلل وجود عين أبوللو المعروفة بعين شحات .

لقد شاهدت البعثة في رحلتها 12 عينا مائية بجانب ما كان يجري في القناة الجارية المؤدية من عين « بو منصور » بالقرب من درنة . ويشير هذا الفريق الى الآبار التي مر بها وعددها ، وقد وضع التقرير هذه العيون وهذه الآبار على هيئة نقط على الخريطة المرفقة بالتقرير .

وبالتقرير قائمة بالعيون وكميات المياه التي تدفعها بالجالون يوميا . وقد بلغت كمية المياه في مجموعها يوميا 6،303،000 جالونا (30) ولكن الفريق لم يستطع إعطاء الامكانيات المائية للآبار التي شاهدها . ويقول التقرير : إن أقوى هذه العيون كانت عيون درنة ولكنها مع هذا لم تكن في القوة المتوقعة لها حسب ما جاء عنها من تقارير .

ويناقش التقرير موضوع المياه اللازمة لري الاراضي الزراعية ولكنه لا يجد لها حلا إلا ببناء خزانات كبيرة الحجم ، ولكنها باهظة التكاليف . وهذه الخزانات الكبيرة تقوم بجمع المياه من الامطار التي تسقط في الشتاء وهو فصل معروف بانخفاض درجة حرارته مع قلة في درجة البخر . اما بخصوص المياه اللازمة للاغراض المنزلية

---

(29) Ibid.
(30) Ibid. P. 41, 45.

فالتقرير يقدم دراسة وافية عن العيون ، وكيفية الاستفادة منها ، وكذلك بالنسبة للآبار الموجودة ، وكيفية تعميقها للاستفادة من مياهها بشكل أوسع بواسطة الآلات الميكانيكية مع عمل حساب لتكاليف عملية تعميق الآبار وتشغيلها . ويتحدث التقرير عن عملية جمع مياه الامطار التى تسقط فوق سطوح البيوت وحفظها فى خزانات خاصة بالبيوت للاستعمال اليومى للعائلات المستوطنة .

ويتناول هذا التقرير الطرق اللازمة لتسهيل عملية توطين العائلات اليهودية ، وهو يرى ضرورة البدء بتعبيد الطريق الذى يربط شحات بسوسة واعداد هذا الطريق لمرور العربات . ويبلغ طول هذا الطريق ما بين 12 ، 13 ميلا . أما تكاليف تعبيده فهى حوالى 12 ألف استرلينى ، وأما الطريق الآخر فهو الطريق الذى يربط طلميته بالمرج وطوله حوالى 17 ميلا . وقد قدرت تكاليف تعبيده بحوالى 16 ألف استرليتى .

واقترح التقرير مد سكة حديدية ضيقة من سوسة الى شحات . وكانت تكاليف ذلك الخط حوالى 35 ألف استرلينى . واقترح أيضا مد سكة حديدية من طلميته الى المرج وإن كان هذا الخط ليس فى أهمية خط السكة الحديدية المقترح لربط سوسة بشحات . وعند توطين المعمرين اليهود فى سهل المرج فلا بد من خط سكة حديدية من المرج الى بنغازى ، وقدرت تكاليف هذا الخط بحوالى 110 ألف استرلينى .

وتحدث التقرير عن ضرورة اصلاح ميناء بنغازى وتحويله الى ميناء صالح لاستقبال حركة المهاجرين اليهود وتوطينهم ، وقدرت التكاليف اللازمة لاصلاح هذا الميناء بحوالى 320 ألف استرلينى . ويرى التقرير إعطاء ميناء سوسة الأفضلية عن ميناء طلميتة فى حالة إنشاء ميناء بحرى آخر بالاضافة الى ميناء بنغازى لأن الصخور الموجودة فى ميناء سوسة تصلح لأن تكون نهايتين لحوض الميناء مع ضرورة تعميق داخل ميناء سوسة وبناء حاجز للامواج بها ، قدرت تكاليف هذه الاصلاحات المطلوبة لميناء سوسة بمائتين وخمسين ألف استرلينى .

وآخر هذه التقارير التى يضمها الكتاب الأزرق هو التقرير الذى أعده الطبيب م. د. ادر عن الاحوال الصحية فى برقة ومدى صلاحيتها للمستوطنين اليهود من الناحية الصحية . وقد اعتمد الطبيب ادر فى إعداد تقريره على نتائج فحص بعض المرضى فى مدينة طرابلس ومدينة بنغازى ودرنة وشحات والمرج ، وفى أماكن أخرى لم يذكرها فى تقريره . واعتمد أيضا فى إعداد تقريره على معلومات طبية جمعها من أطباء فى طرابلس وبنغازى ودرنة ، كل ذلك الى جانب المعلومات التى استمدها من اشخاص آخرين غير أطباء من المصادر والسجلات الطبية عن أحوال الصحة فى البلاد .

ويذكر ادر فى تقريره أن أهم المعالم الصحية للبلاد يمكن حصرها فى المناخ الممتاز لهضبة الجبل الاخضر ، فالحرارة هناك ليست عالية ، والليالى تميل الى البرودة مما يوفر نوما هادئا .

وهكذا اشترك ادر فى تقريره الطبى مع بقية زملائه فى التنويه بمناخ المنطقة . والبلاد تخلو من وجود الاوبئة باستثناء رمد العيون . وهى خالية أيضا من الحيوانات المفترسة التى تهدد الحياة وتكون خطرا عليها . ويقول الطبيب ادر : إنه بعد أن ترك مدينة طرابلس لم ير حشرات الناموس ولم يسمع لها صوتا ، ومعنى هذا ان البلاد خالية منمرض الملاريا(31)،ولكن يبدو أن ادر كان قد التزم جانب التعميم إذ المعروف ان منطقة تاورغاء الى الشرق من مسراته كانت موبوءة بالملاريا لوجود المستنقعات فيها ، ولم يقض على هذا المرض نهائيا الا فى السنوات الاخيرة .

ويذكر الطبيب ادر أن الأوبئة التى عانتها البلاد فى السابق كانت محصورة الى حد كبير فى بعض المدن الساحلية ، كوباء الحمى النخاعية الذى عرفته مدينة بنغازى فى 1878 . وكثيرا ما كانت الأوبئة التى تعرضت لها البلاد آتية اليها من الخارج ، فوباء الكوليرا الذى عرفته البلاد فى 1837 انتقل اليها من مصر ، والطاعون الذى انتشر فى البلاد فى سنة 1821 جاء اليها من مصر ، وقد قضى هذا الوباء فى أربعين يوما على معظم سكان درنة

(31) Ibid. P. 47

الذين أصبحوا 500 نسمة فقط بعد أن كانوا 7000 نسمــة . وفى ابريل 1858 انتشر الطاعون بين افراد القبيلــة التى كانت تعيش حول مدينة بنغازى ، ومن هناك انتشر الوباء فى معظم الولاية ولم ينته إلا فى يوليو 1859 . وانتشر هذا الوباء مــرة اخرى فى نفس المنطقة فى 1874 ، ولكنه كان محدودا هذه المــرة بين بعــض قبائــل برقة التى كانت تسكن الجبل الاخضر وانتهى خطــره فى يوليـــو ، وكانت هناك 533 حالة مرض بين 734 من سكان البلاد . أما حالات الوفاة فقد كانت 208 حالة . وفى 1803 انتشر وبــاء فى بنغــازى وجاءت بعثة طبية من جزيرة مالطة لهذا الغرض .

أما مــرض الجــدرى فقد كان شيئا عاديا فى البلاد . وفى 1802 انتشر مرض التيفوس فى ولاية طرابلس الغرب ، وسبب وفايات كثيرة خصوصا فى هضبة برقة . وقد فقدت الولاية خمس سكانها الذين كانوا يبلغون فى ذلك الــوقت مليونــا . وتكرر حدوث هذا الوباء مرة آخــرى فى 1872 م ، ويقــول الطبيب ادر : ان البـــلاد عرفت الحمى المالطية حديثا فى ذلك الوقت نتيجة استعمال حليب الماعز ، وخاصة فى مدينة بنغازى ومدينة درنــة بعد أن أصبحت برقة تستورد بعض الماعز من جزيرة مالطة (32) .

أما التراكوما فهى منتشرة فى البلاد بين سكانهــا من العــرب واليهود خصوصا بين الفقراء منهم (33) . ويبدو أن هذا المرض لم يكن قاصرا على ليبيا وحدها بل كان منتشرا فى المنطقة الجغرافية. ويستدل ادر على ذلك بأن الفحص الذى أجرى على أطفال المدارس بالقاهرة أثبت ان 51% منهم مصابون بالتراكوما ، مما دفع السير ارنســت كــاســل Sir Ernest Cassel على إرسال مستشفى متنقل خاص على حسابه لعلاج التراكومــا هناك . وقد أتت بعثتــه الطبية بنتائج ممتازة (34) .

وهكذا استمر الطبيب ادر فى ذكر بعض الامراض التى عرفتهــا البلاد . ولهذا يمكن اعتبار تقريره مرجعا تاريخيا هامــا لدراســة

---

(32) Ibid. P. 48

(33) Ibid.

(34) Ibid.

تاريخ الامراض والاوبئة فى البلاد ، وينهى الطبيب تقريره باعادة القول بأن البلاد تعتبر من الناحية المناخية والصحية لا مثيل لها . واذا كانت الموانى عاملا من عوامل زيادة الاوبئة فانه يمكن إحكام ادارتها الصحية وتجنب أى مصدر للخطر من ناحيتها .

بعد كل هذه التقارير المختلفة يأتى الملحق الذى أعده الدكتور ناحوم شلوش عن اليهود واليهودية فى برقة القديمة ، والغرض واضح من هذا الملحق وهو إبراز الخلفية التاريخية التى يمكن أن تبرر بها « منظمة الاراضي اليهودية » ، فكرة إنشاء الوطن اليهودى فى برقة ، والاعتداء على أهلها باغتصاب أرضهم وإعطائها ليهود رومانيا وروسيا ومن على شاكلتهم .

وهكذا جاء الكتاب الأزرق ليبدأ بمقدمة تاريخية وسياسية لشرح كيف بدأت فكرة إنشاء الوطن القومي لليهود في ليبيا ، وكيف تطورت الفكرة ومبرراتها الدينية والاجتماعية والسياسية ، والاوضاع الدولية التى أحاطت بتنفيذ الفكرة . وجاء الكتاب الأزرق لينتهي بهذا الملحق التاريخي لتعميق جذور الفكرة والعودة بها الى عصور قديمة على أسس تخيلها الكاتب فى ذهنه ، وأفرغها في هذا الملحق لعله يقنع بها غيره . ويكفى أن نقول : إنه استاذ للعلوم السياسية في جامعة باريس ، وهو منصب علمى في جامعة لها مكانتها الخاصة خصوصا فى نفوس العرب الذين بدأوا يأخذون من باريس مركزا لنشاطهم الفكرى والسياسى منذ أن عرف العرب الاتصال بباريس بعد الحملة الفرنسية على مصر فى بداية القرن التاسع عشر ، وما تلاها من أحداث وتطورات سياسية جعلت العرب يتخذون من باريس مكانا للقاء بينهم للتشاور فى قضاياهم وللتفاهم فيما بينهم .

يبدأ ناحوم شلوش هذا الملحق بالاشارة الى ما قاله المؤرخ اليهودى «يوسف» (*) بخصوص اعتبار برقة امتدادا لفلسطين فيما وراء نهر النيل ، وشلوش فى إشارته هذه يعتبر برقة امتدادا

(*) فلافيوس جوسيفوس **Flavius Josephus** مؤرخ يهودى وقائد عسكرى من مواليد فلسطين (37 – 95 م) . كانت له أدوار هامة فى ثورة اليهود ضد الرومان فى فلسطين قبل ان يستسلم ويصبح فيما بعد أحد المواطنين الرومان .

لفلسطين فيما وراء نهر النيل ، وشلوش فى إشارته هذه يعتبر برقة مركزا هاما للاستعمار اليهودى على مر العصور . ومن هنا جاءت أهمية الاشارة التي بدأ بها شلوش ملحقه التاريخي للكتاب الأزرق ، والتي كشف فيها عن نواياه المبيتة بخصوص أطماع « منظمة الاراضي اليهودية » في برقة . ولنا فيما قاله المرحوم الاستاذ عبد الحميد العبادى (**) (بك) أحسن رد على ما دعا إليه شلوش في إشارته هذه ، قال مؤرخ مصر الاسلامي في العصر الحديث :

« إن لوبيا قطر عربى بين العروبة ، فى طبيعة أرضه وخصائص سكانه ، ولولا وادى النيل لكان قطعة من أرض الجزيرة العربية لا تختلف عن نظائرها اختلافا جوهريا فى شيء » (35) .

ولأهمية الدور الذى لعبته برقة في تاريخ اليهود قال شلوش : إنه باستثناء بلاد ما بين النهرين لا يوجد بلد لعب دورا هاما في تاريخ اليهود مثل ما لعبته برقة . وهو في قوله هذا يشير الى تاريخ برقة القديم في عهد البطالسة والعهد الروماني . وقد سبقت الاشارة الى كل ذلك في الصفحات السابقة .

ويشيد شلوش بالرحلتين اللتين قام بهما فى ليبيا ، واللتين مكنتاه من معرفة الكثير عن البلاد وتاريخها . وهو في هذا الملحق يقدم خلاصة تاريخية قد ركزها حول تاريخ الوجود اليهودى فى البلاد وأهم المعالم البارزة فى تاريخهم في برقة ، وقد تناول شلوش كل هذا بالتفصيل فيما بعد في كتابه « رحلات في شمالى افريقية » .

وقد رأينا كيف ساءت العلاقات بين الرومان واليهود في برقة مما أدى فيما بعد الى قيام اليهود بثورتهم الكبرى في برقة

(**) من ابناء الاسكندرية ومواليدها فى 1892 م . كان حجة فى التاريخ الاسلامي . تولى استاذية التاريخ الاسلامي في جامعة القاهرة ثم جامعة الاسكندرية الى جانب المعاهد الاخرى التى درس فيها . له مدرسة خاصة في التاريخ الاسلامي تعتمد على التحليل والمناقشة لا السرد والرواية . تتلمذ عليه الاف الطلاب في مصر وبقية العالم العربى . توفي في الاسكندرية يوم 3 اغسطس 1956 ودفن بمقبرة المنار بها . رحمه الله رحمة واسعة

(35) مصطفى عبد الله بعيو . **المجمل في تاريخ لوبيا من اقدم العصور الى العصر الحاضر** . الاسكندرية 1947 . من مقدمته للكتاب ص 9 .

بالاشتراك مع إخوانهم فى قبـرص وبـلاد فيما بين النهـرين فى II5 م ، وقد أدت تلك الثورة اليهودية فى برقة الى قتل 220 ألف من اغريق ورومان برقة (36)٠ وقد قابل اغريق الاسكندرية وحشية اليهود بقتل عدد كبير من يهود الاسكنـدرية ، ولكـن الرومـان استطاعوا التغلب على يهود برقة فيما بعد وذبحوا الآلاف منهـم . وفى سبيل قطع خط الرجعة على المهـزومين ولمنـع اللاجئيـن من العـودة حولت البـلاد بأكملهـا الى صحـراء (37) ، وهكـذا اختفـى الاغريق واليهود من تاريخ برقة وإن استمـر وجـود بعض بقايـا اليهود فى البلاد على مر السنين فيما بعد ٠

ويقول شلوش : إن البعثة اكتشفت بعض الآثار التى تدل على قيام بعض المستعمرات اليهودية فى الجبل الاخضر والتى استطاعت أن تحتفظ بوجودها فى الداخل بفضل مساعـدة البربـر من أهل البلاد . ويشير شلوش الى تحول من نجـا من اليهـود الى داخـل البلاد والاختلاط بأهلها من البربر وقد ساهموا فى اشعال مقاومة الاهالى للحكم الرومانى . وعندما جاء البيزنطيون فى عهد جستنيان لاسترجاع البلاد من قبائل الوندال الاوربية اسـرع اليهـود من الداخل الى الساحل لمساعدة الوندال ضد البيزنطيين ٠

ويختم شلوش خلاصتـه التاريخيـة بأن برقـة لم تستطـع أن تستعيد رخاءها القديم . وفى نظره ان الاغريق لم ينجحوا فى إعـادة تعميرها بالسكان مرة اخرى . ولم ينجـح الرومـان والعـرب من بعدهم فى تلك المهمة . ويختم كلامه بأن البـلاد ما زالت كما هى وما زالت تنتظر سكانها الأصليين اليهود الأبطال (38) ٠

ولا أعرف من أين جاء الاستاذ شلوش بهذه الاصالة التى نسبها الى اليهود الذين كانوا يعيشون فى برقة ، وقد سبق لنا أن رأينـا كيف جاء البطالسة باليهـود من فلسطين ، وكيـف احتضنـوهم وأسكنوهم فى الاسكندرية وفى برقة ، فعلاقتهم بالبلاد وإن كانت

(36) الكتاب الازرق ص 52

(37) الكتاب الازرق . ص 52

« The entire Country was transformed ints a desert » P. 52.

(38) Ibid.

قديمة فهي علاقة جاءت من اللجوء وقد احتوتهم البلاد وحمتهم . وهم أيضا جاءوا الى البلاد وقد سبقهم اليها الاغريق الذين استوطنوا برقة واندمجوا مع أهلها ، فمن أين جاءت هذه الأصالة وماذا نقول عن الليبيين أصحاب البلاد والذين وجدوا فيها منذ آلاف السنين قبل أن يأتي إليها الاغريق ويلجأ اليها اليهود .

إن عبارة شلوش التى ختم بها ملحقه التاريخى خطيرة المعنى وتحمل فى طياتها الكثير من المعانى التى ربما تكون قد مرت دون الالتفات اليها وقت صدور الكتاب ، أما الآن والظروف قد تكشفت عن نوايا اليهود وأطماعهم التوسعية ، وقد أصبحت الأمة العربية فى صراع عنيف فى سبيل الحياة أو الموت أمام الاطماع اليهودية التى اتخذت لها من فلسطين السليبة قاعدة لتحقيق أهدافها ، فان هذا الكلام يجب النظر اليه بجدية وعمل الحسابات له ، وكما يقولون : فان معظم النار من مستصغر الشرر .

والقارىء للكتاب الأزرق يلاحظ أن هناك تكرارا لبعض الأفكار والآراء بشكل واضح ، وقد انعكس بعض هذا التكرار فى هذه الدراسة ذلك لأن « الكتاب الأزرق » يضم عدة تقارير مختلفة حول جوانب مختلفة فى البلاد ، وقد كلف أعضاء البعثة بدراستها وتقديم نتائج دراستهم حولها . ولهذا كان لا بد من حدوث بعض التكرار الذى يلاحظه القارىء فى التقارير المختلفة . ولما كانت هذه الدراسة عن « الكتاب الأزرق » تهدف الى إعطاء صورة حقيقية عنه لقراء اللغة العربية كان لا بد من التكرار احيانا حتى تكون الصورة واضحة عن كل تقرير من تقارير الكتاب .

والكتاب وثيقة خطيرة تكشف الكثير من اسرار الاطماع الصهيونية فى الوطن العربى سواء فى ليبيا أو فلسطين ، والكتاب يلقى الضوء على الكثير من المؤامرات التى لعبها اليهود فى كيان الدولة العثمانية ، وكيف ساهم الصهاينة فى الاطاحة بالسلطان عبد الحميد الثانى ونظام حكومته لمعارضته للاطماع الصهيونية فى فلسطين رغم كل الاغراءات التى قدمت له شخصيا ولحكومته ، وكيف ساهم الصهاينة فى ثورة جماعة الاتحاد والترقى ، والتى رحب بها العرب وغيرهم من رعايا الدولة العثمانية واعتبروها

بداية للعهد الدستورى « عهد المشروطية » ·

لقد عرف الصهاينة كيف يدعون الصداقة للسلطان عبد الحميد الثانى حتى اطمأن اليهم فى الوقت الذى كانوا فيه يتبنون رجال « تركيا الفتاة » ويخططون لهم . لقد عرف الصهاينة كيف يتسللون الى بعض المناصب الهامة التى ساعدتهم فى الاطلاع على الكثير من اسرار الدولة للاستفادة منها لمصلحتهم ، وتوجيه كبار المسؤولين فى الدولة العثمانية الوجهة التى يريدونها لخدمة أهدافهم عن رضا وقبول ، بل وحماس شديد يصل الى مرحلة التشكيك فى حقيقتهم مهما التمسنا الأعذار لهم . ولنا فى رجب باشا والى ولاية طرابلس الغرب ويعقوب كريجر اليهودى والترجمان العام للولاية فى عهده ما يكشف مثل هذا المخطط الصهيونى ، كل هذا وأكثر منه ورد واضحا فى هذا « الكتاب الأزرق » ·

إن الدارس لهذا الكتاب بصفة عامة وللمقدمة التاريخية والسياسية التى كتبها اسرائيل زانجويل رئيس « منظمة الاراضى اليهودية » وأحد اركان الحركة الصهيونية ، سيجد الكثير من الحقائق التاريخية التى تلقى الضوء على أحداث الدولة العثمانية وما كانت تعانيه من مصاعب فى بداية القرن العشرين ·

والكتاب مصدر اساسى فى دراسة تاريخ ليبيا ولكن على الذين يريدون الاعتماد عليه فى هذا الخصوص أن يأخذوا حقائقه التاريخية بحذر لانها كتبت لخدمة فكرة معينة ، وخاصة ذلك الملحق التاريخى الذى كتبه الدكتور ناحوم شلوش الاستاذ الاسبق للعلوم السياسية فى جامعة باريس والذى جاء خاتمة للكتاب ·

والكتاب أيضا مصدر أساسى فى دراسة جيولوجية منطقة الجبل الأخضر ، وأوضاع برقة المناخية والمائية والصحية ، وقد وردت بالكتاب معلومات اساسية وطريفة ، وإحصائيات ما زالت معتمدة حتى يومنا هذا ، وما زالت جهود الاستاذ جريجورى فى دراسة جيولوجية المنطقة تعتبر مصدرا أساسيا فى الدراسات الجيولوجية التى يقوم بها علماء الجيولوجية فى الوقت الحالى ، ولهذا قل أن نجد كتابا أجنبيا يتناول دراسة جغرافية برقة وأوضاعها العامة دون

الرجوع الى ما كتبه جريجورى وبقية زملائه مباشرة أو نقلا عمن اعتمد على جريجورى وبقية اعضاء بعثته ·

وتعتبر الدراسة التى قدمها الكتاب بخصوص طريقة توطين اليهود اللاجئين فى الجبل الأخضر من أهم جوانب الكتاب والتى تفيد كل من يريد تعمير منطقة الجبل الأخضر بصفة خاصة وبقية المناطق الاخرى القابلة للتعمير فى ليبيا بصفة عامة . ومن المؤكد أن الايطاليين في مشروعهم الاستيطانى الذى وضعوه لتوطين بعض العائلات الايطالية في الجبل الأخضر قد استفادوا كثيرا من خطة التعمير التى رسم خطوطها الاساسية هذا الكتاب ، والتى جاء ايتلو بالبو فيما بعد ، وتبناها لتحقيق سياسته الاستعمارية الفاشستية . والزائر لمنطقة الجبل الأخضر وهو يشاهد بقايا المستعمرات الايطالية بمزارعها الخاصة الملحقة بالمساكن العائلية وما يحيط بها من بساتين وخزانات لحفظ المياه يرى تطبيقا عمليا للسياسة التى رسمتها البعثة لتنفيذ مشروع توطين يهود رومانيا وروسيا فى الجبل الأخضر ·

وقد آثار « الكتاب الأزرق » بعد صدوره في يناير 1909 تعليقات هامة فى المجلات العلمية والصحف اليومية وبعض الكتب التى صدرت عن ليبيا . وكان الكتاب محل نقد شديد من الصحافة الايطالية لأنه جاء مخيبا للآمال الكبيرة التى كانت تمنى بها الحكومة الايطالية الشعب الايطالى ، عندما جعلته يتغنى بانشودة « طرابلس الجميلة » TRIPOLITANIA BELLA ، إذ كانت الصحافة الايطالية بتوجيه من الحكومة الايطالية تطنب فى مدح ليبيا وتحسينها في نظر الشعب الايطالى ، حتى تهون عليه كل تضحية فى سبيل الحصول عليها ·

ونشرت « المجلة الجغرافية » التي تصدرها الجمعية الجغرافية الملكية في لندن فى عددها الصادر فى اكتوبر سنة 1909 عرضا « للكتاب الأزرق » بقلم الاستاذ د· ج· هـ· تحت عنوان « برقة » (39) ·

---

(39) D.G.H. Cyrenaica. The Geographical Journal. London : The Royal Geographical Society. October 1909. PP. 444 - 445.

نجح الكاتب في إلقاء الضوء على « الكتـاب الأزرق » في مقـاله المختصر . ركز الكاتب على ما جاء في الكتاب من مميزات اختصت بها برقة حتى جعلتها محل اختيار من « منظمة الاراضي اليهودية » لتحقيق مشروع الوطن القومي لليهود ، بالاضافة الى مـا وجـدته المنظمة من السلطة العثمانية في طرابلس من تـرحيب وتشجيـع لتبني تنفيذ هذا المشروع ، ولكن الكاتب لم ينس الاشارة الى أهل البلاد وما كانوا يملكون من سلاح . وأشار كاتب المقال باختصـار الى بعض المحاولات التي قامت بها السلطات العثمانية لتوطين بعض الاجناس الاخرى في برقة ومدى نجاح تلك المحـاولات . وأشـار الكاتب ايضا الى الجهود التي بذلها رجب باشا في سبيـل تحقيـق المشروع اليهودي . وبعد ذلك ينتقل كاتب المقال الى الحـديث عن البعثة الموفدة وأعضائها ، والمهمـة التي قامـوا بها مشيـدا بنتيجـة أعمالهم حتى أنه اعتبرها قيمة ووثيقة هامة .

ولم ينس الكاتب أن يأخذ على البعثة سـرعة التحقيقـات التي قاموا بها نظرا لقصر المدة التي قضوها في مهمتهم الى جانب اختيار فصل الصيف وقتا لبعثتهم وتقيدهم بالسير في حـدود الطـرق الرئيسية ، ولكن هذا لم يمنع الكاتب من أن يقول : إن ابحـاث هذه البعثة كانت الاولى من نوعها في برقة ، وقد قام بها خبراء مختلفون في اختصاصاتهم ولكن كفريـق متعـاون . ويقول الكاتب : وليس معنى هذا ان ننكر العمل الذي قامت به البعثة الايطـالية في 1881 باشراف كمبريـو CAMPERIO وهايمـان HAIMANN (*) ، وإن كـان هـدف البعثـة الايطـاليـة قـد اختلـف كمـا اختلفـت صفـات أعضائها (40) .

ويتناول كاتب المقال المقدمة التاريخية والسياسية التي أعدهـا إسرائيل زانجويل « للكتاب الأزرق » ، بصفتـه رئيسا للمنظمـة اليهودية ، ويأخذ عليه عدم إلمامه بالحقائق الكافية عن الاكتشافات

(*) من يريد معلومات اكثر عن هذه البعثة الايطالية فليرجع الى كتاب « الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا » تأليف اتيليو موري وتعريب الاستاذ خليفة محمد التليسي. طرابلس . مكتبة الفرجاني ص 93 ـ ص 98 .

(40) D.G.H. ; op. cit. P. 445

الحديثة لبرقة التى قام بها المستر ويلد بلندل WELD BLUNDELL فى 1895 ، وعدم معرفته للفريق الامريكى الذى ذهب الى برقة فى 1904 ، حتى يمكنه أن يستلهم الثقة عندما يكتب عن سياسة السلطات العثمانية والوضع السائد فى البلاد ، ولكن كاتب المقال يبدى اعجابه بالموضوع الاساسى للكتاب والملاحظات التى أثبتها أعضاء البعثة فى تقاريرهم التى يضمها « الكتاب الأزرق » . ويسجل كاتب المقال ما لاحظه من اتفاق أعضاء البعثة على بعض الجوانب التى لاحظوها على البلاد عند زيارتهم لها مثل خصوبة التربة ، والمبالغة فى القدرة الاقتصادية لبرقة ، والعجز فى مياه الأمطار ، والمميزات الجيولوجية للاقليم التى لا تساعد على حفظ مياه الأمطار واتفاقهم على عدم خلو البلاد من السكان الكثيرين مع ملاحظة أنهم مسلحون ·

ويتعرض الكاتب لمعلومات الكتاب الخاصة بالأمطار وسجلاتها التى جاءت فى « الكتاب الأزرق » ، ويأخذ على البعثة تقيدها بالسير فى حدود الطرق الرئيسية دون التوغل فى داخل المنطقة بحجة الخوف من التعرض لنقص الماء مع أن كاتب المقال يعتقد أن الماء متوفر حتى فى شهر أغسطس أكثر مما سمعت به البعثة . ولا يسلم كاتب المقال بالرأى الذى قال به زانجويل وجريجورى بخصوص التقليل من عدد سكان برقة ومدينة قورينا فى العصور القديمة ، لتعارض ذلك مع المستندات وشواهد الآثار القديمة ، فضلا عن أنه غير مقتنع بما قاله الاثنان ·

ويختم كاتب المقال كلامه بالاشارة الى أن المنظمة اليهودية لم تفقد كل أمل فى برقة ، وأن التقارير التى قدمها جريجورى وبقية زملائه فى البعثة لم تكن الرأى النهائى ، وأنها لم تكن كلها ضد المشروع · وعبر عن سروره اذا عادت البعثة مرة أخرى فى فسحة أوسع من الوقت وفى فصل الربيع بالذات لانه ما زال يعتقد فى إمكانية البلاد استيعاب عدد من السكان لا بأس به (41) ، لقد نجح كاتب المقال فى إبراز أهم موضوعات « الكتاب الأزرق » مع إعطاء وجهة نظره فى بعض موضوعات الكتاب ·

---

(41) Ibid.

ويبدو أن الاستاذ ج. و. جريجورى رئيس البعثة التي أوفدتها المنظمة اليهودية الى برقة لم يكتف بالبحث الجيولـوجي عن بـرقة الذى قدمه فى تقريره الى المنظمة ، ولكنه واصل دراساته عن برقة منطلقا من الابحاث التي قام بها في الجبل الأخضر ، ولهـذا تـراه يكتب مقالا بعنوان « هل الأرض آخذة فى الجفاف ؟ » فى « المجلـة الجغرافية » (42) بعددها الصادر فى فبراير 1914 . وفى هذا المقال أعطى دراسة لجيولوجية برقة وجغرافيتها الطبيعية . ويعود الكاتب فى مقاله هذا ليؤكد حقيقة هامة وهى عدم حـدوث أى تغييـر على أمطار برقة أو مصادرها المائية منـذ أن استوطنهـا الاغريـق فى القرن السابع فيما قبل الميلاد . وقد وصل الى هذه الحقيقـة العلميـة على ضوء الشواهد الأثرية وعلى ضوء ما كتبه الجغرافى بطلميـوس بخصوص توزيع النبات فى برقة ، الذى كان يشبه ما عليه الحـال فى الايام المعاصرة (43) .

وكان الاستاذ جريجورى قـد نشـر مقـالا آخـر فى « المجلـة المعـاصرة » فى عددها الصـادر فى (يوليـو ـ ديسمبر 1911) عن « مصادر طرابلس الغرب » (44) . وقد تناول الكاتب فى مقـاله هذا : المحـاولات الايطاليـة للتغلغل فى البـــلاد سلميـــا ، العوامل الجغرافية ، قيمة برقة ، احتمال التغيير فى المنـاخ منـذ العصـور القديمة ، السنوسية . وهكذا جاء مقاله حاويـا لعـدة موضوعات هامة ، بعضها جيولوجى وبعضها جغرافى والبعض الآخر اقتصادى الى جانب الأضواء السياسية التى بدأ بها مقاله بخصوص الأطماع الايطاليـة فى ليبيـا . وفى كـل الموضوعـات نجد اشـارة مبـاشرة لزيارته التى قام بها لمنطقة الجبل الأخضر فى 1908 والابحاث التى قام بها هناك وعاد بنتائجها التى قدمهـا الى « منظمـة الأراضـى اليهودية » أو احتفظ بها لنفسه لأنها بدت جانبية بالنسبة للهدف الذى من أجله ذهب فى بعثته الى برقة .

---

(42) J.W. Gregory. **Is the Earth Drying up ?** The Geographical Journal. London : The Royal Geographical Society. February 1914. PP. 148 - 169.

(43) **Ibid.** P. 169.

(44) J.W. Gregory. **The Resources of Tripoli.** The Contemporary Review. London : July - December 1911. PP. 768 - 781.

وعندما كتب الدكتور ادولف فيشر مقاله القيم عن طرابلس الغرب في المجلة الجغرافية في عددها الصادر في نوفمبر 1911 بعد أن قامت القوات الايطالية بغزو البلاد صرح بانه اعتمد على « الكتاب الأزرق » الذى اعتبره تحقيقا علميا للاحوال الزراعية في البلاد (45) .

أما « دورية المعلومات الاقتصادية » (46) التى كان يصدرها اتحاد المطابع في بنغازى فقد نشرت ترجمة ايطالية « للكتاب الأزرق » في عددها الثالث الصادر في 1929 . وقد قام بالترجمة العقيد إ. دي أجوستيني Col E. De Agostini الذى كان ضابطا بالجيش الايطالى وهو صاحب كتاب « سكان طرابلس » La Popolozioni Della Tripolitania وكتاب « سكان برقة » La Popolozioni Della Cirenaica . وقد قام دى أجوستيني بكتابة مقدمة للترجمة استعرض فيها فكرة انشاء الوطن اليهودى في برقة ، واسباب هذا الاختيار ، وموقف بعض رجال المنظمة اليهودية من هذا الاختيار ، وكيف أدى موقفهم فيما بعد الى ارسال بعثة برئاسة جريجورى للتأكد من حقيقة صلاحية برقة لهذا الغرض . وتعطى المقدمة استعراضا للتقارير التى ضمها « الكتاب الأزرق » .

ولندرة وجود « الكتاب الأزرق » في الاسواق ، ولصعوبة الاطلاع عليه بالنسبة للكثير من الايطاليين الذين لا يعرفون لغة الكتاب الانجليزية قام دى أوجستيني بترجمة الكتاب الى اللغة الايطالية ، ولكن دى أوجستيني لم يقم بترجمة المقدمة التاريخية السياسية التى كتبها زانجويل « للكتاب الأزرق » بحجة عدم أهمية هذه المقدمة للايطاليين ، ولم تتم الترجمة ايضا لبعض اجزاء

---

(45) Adolf Vischer. **Tripoli**, The Geographical Journal. London. November 1911. P. 495.

(46) Col E. De Agostini **Raporto sui Lavori della Commissione inviate della Jewish Territorial Organization Sotto gli auspici del generale Governatore di Tripoli per esaminare il territorio proposto per una Colonia ebraica in Cirenaica.** Notizario Economico Della Cirenaica. Bengasi : Unione Tipografico - **Editrice.** 1929.

أخرى من الكتاب . وقد نشرت الترجمة فى ثلاثة اعداد متتالية من هذه الدورية الاقتصادية التى كانت تصدر فى بنغازى فى العهد الايطالى » (*) .

والى جانب الصحف الاوروبية والمجلات والدوريات العلمية التى تناولت هذا الكتاب بالعرض والنقد نجد « للكتاب الأزرق » اصداء في المؤلفات التي تناولت موضوع الرحالة الاوربيين وحركة الاستكشافات الاوربية في ليبيا . ومن هذه الكتب كتاب الاستاذ أتيليو مورى عن « الرحالة والكشف الجغرافى فى ليبيا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى الاحتلال الايطالى » الذى اصدرته الدراسات الرسمية لحكومة برقة ونشرته في فلورنسا بايطاليا فى 1927 والذى قام بترجمته الى العربية الاستاذ خليفة محمد التليسى ونشرته مكتبة الفرجانى بطرابلس في 1971 ، ولكن هذا الكتاب الايطالى لم يعط نشاط البعثة اليهودية في أهدافها اهتماما يذكر اذ اكتفى بذكرها بين النشاط الكشفى الذى شاهدته ليبيا فى بداية القرن العشرين دون محاولة لاعطاء معلومات عن هذه البعثة واهدافها . ولم تصل المعلومات التى اعطاها المؤلف عن هذه البعثة الى صفحتين حسب الترجمة العربية للكتاب .

أما تشارلز لابورث فى كتابه عن « طرابلس الغرب وايطاليا الفتاة » (47) الذى صدر فى لندن في 1912 والذى تناول فيه الاطماع الايطالية فى ليبيا والغزو الايطالى فى خريف 1911 فقد خصص الفصل الخامس من كتابه هذا للكلام عن القيمة التجارية لليبيا . وفى هذ االفصل تناول المؤلف « الاكتشاف اليهودى » من بين الموضوعات التى تناولها فى هذا الفصل (48) ، ويذكر لابورث أن « الكتاب الأزرق » تعرض لنقد من الدكتور أو . مانيتى

(*) مجلد هذه الدورية الاقتصادية التى بها الترجمة الايطالية موجود فى المكتبة الحكومية فى طرابلس تحت رقم 056 L / 28 . ورحم الله منصور عامر الموظف بالمكتبة الذى توفاه الله وهو فى عنفوانه فى صيف 1972 . لقد كان ملما بالمكتبة محيطا بها مع دماثة خلق وروح طيبة . كانت خسارته لا تعوض لا لاهله ولكن لعارفيه ولقدرى فضله وللمكتبة التى عاصرها وأخلص لها .

(47) Charles Laworth, **Tripoli And Young Italy**. London 1912. PP. 347.

(48) **Ibid. P.** 150

O. Manetti (*) رئيس تحرير « مجلة الزراعة الاستعمارية » Agricoltura Coloniale وهي مجلة كان يصدرها المعهد الايطالي للزراعة الاستعمارية Italian Institute of Colonial Agriculture وقد أثار الدكتور مانيتي في تناوله للكتاب الأزرق النقط الآتية :

1 ـ إن البعثة اليهودية قامت بعملها تحت رعاية والى طرابلس الغرب الذى رحب بها ·

2 ـ بخصوص الملاحظة التي أبداها جريجورى رئيس البعثة بشأن اهتمام السلطات التركية بالبعثة وترحيبها بها من أجل تنمية موارد البلاد كان رد مانيتي الايطالي على هذه الملاحظة أن الترحيب الذى أبدته السلطات التركية بالبعثة اليهودية يعود الى رغبة الحكومة التركية فى أن ترى البعثة اليهودية عائقا للتوسع الاقتصادى الايطالي فى ليبيا ·

3 ـ سخر مانيتي من إمكانية قيام بعثة « منظمة الاراضي اليهودية » بفحص أرض واسعة فى مدة قصيرة مثل المدة التى أمضتها فى الجبل الأخضر عندما أتت من درنة يوم 27 يوليو 1908 وقد سارت فى خط مستقيم حتى وصلت بنغازى يوم 14 أغسطس . لقد بقيت البعثة ثلاثة أو أربعة أيام فى وسط برقة . وقد قامت البعثة بعملها فى أجف فصول السنة . وأنه من الصعب فى 18 يوما فقط من الملاحظة استكشاف النواحى الجيولوجية والجوية والزراعية فى أرض مساحتها 12 مليون ميل مربع ·

4 ـ للحقيقة الواقعة لم يسبق أن درست ليبيا تماما من الناحية العلمية ، وليس هناك تغيرات جيولوجية كبيرة فى الأزمنة التاريخية ، ولم يثبت بعد أن هناك ماء أقل مما كان عليه فى السابق · لقد اظهر الفرنسيون فى تونس كيف يمكن قيام الزراعة الكثيفة بمياه من التربة الفرعية . ويفخر الامريكيون باكتشاف الفلاحة الجافة Dry Farming . وذكر مانيتي أن هذا النوع من الفلاحة قد استعمل فى ايطاليا لعدة قرون . وقد كتب أحد

(*) تولى ادارة مصلحة الزراعة فى برقة فى المعهد الايطالي فيما بعد .

المزارعين الايطاليين رسالة في الموضوع في 1567 . وبكل تأكيد لقد عرف قدماء المصريين في مصر هذه الطريقة في الزراعة . ذكر أن العامل الايطالي قام بنجاح بزراعة 11 مليون شجرة زيتون في تونس . ويؤكد امكانية عمل ذات الشيء في ليبيا . ويشير لابورث الى التجارب الزراعية الناجحة في السنوات الخمس في اريتريا بخصوص زراعة القطن ويأمل أن تتم زراعة هذا النبات الثمين بكثرة في مستعمرة ايطاليا الجديدة (49) .

ويأخذ مانيتي بعد ذلك في الاطناب في شكر مميزات التربة في برقة مع ضرب بعض الامثلة العملية التي تؤكد صحة أقواله والتي تبعث الامل الكبير على استفادة الايطاليين من برقة بعد ان يتم لهم الاستيلاء عليها .

أما الكاتب الانجليزي الآخر فرانسيس مكولاغ في كتابه « حرب ايطاليا من أجل صحراء » (50) والذي عارض فيه الغزو الايطالي لليبيا على أساس أنها لا تستحق كل هذه الجهود التي بذلتها ايطاليا من أجلها ، والآمال الكبيرة التي وضعتها فيها كما يتبين ذلك من عنوان الكتاب نفسه ، فقد اشار الكاتب الى بعثة « منظمة الأراضي اليهودية » الى برقة وكتابها الأزرق في الفصل الرابع من كتابه الذي حاول أن يدلل فيه على عدم أهمية البلاد من الناحية الاقتصادية مستدلا على ذلك بما قاله جريجوري في تقريره بخصوص عدم صلاحية برقة لانشاء مستعمرات زراعية واسعة (51) .

والملاحظ أن صاحب كتاب « طرابلس الغرب وايطاليا الفتاة » كان أقوى حجة من فرنسيس مكولاغ في هذه النقطة بالذات عند الكلام عن الامكانيات الزراعية في برقة وكيفية الاستفادة من الزراعة البعلية كما هو معمول به في الكثير من بلاد العالم .

أما أرنست ن. بينيت ERNEST N. BENNETT في كتابه

(49) Ibid. P. 152.
(50) Francis McCMullagh. Op. cit.
(51) Ibid. P. 39

« مع الاتراك فى طرابلس الغرب » (52) فهو يشير الى اقوال الاستاذ جريجورى فى الكتاب الأزرق بخصوص عدم صلاحية برقة لتحقيق اهداف المنظمة اليهودية والى ما جاء فى مقاله عن « موارد طرابلس » ، كل ذلك ليثبت عدم توقعه النجاح لايطاليا فى توسعاتها الاستعمارية ·

خلاصة القول أنه بقدر ما كانت « المنظمة اليهودية » تعمل حسابا فى مشروعها للاطماع الايطالية فى ليبيا كانت الحكومة الايطالية تتابع بقلق شديد نشاط البعثة اليهودية حتى اذا صدر الكتاب الأزرق سعدت ايطاليا بالقرار الذى اتخذته المنظمة اليهودية بخصوص ترك برقة وتركيز جهودها من جديد على فلسطين . وبقدر ما فرحت ايطاليا بهذا القرار الذى اتخذته المنظمة اليهودية شعرت بخيبة أمل شديدة فى ضمان نجاح مشروعها التوسعى الذى كثيرا ما منت به النفس والهبت به مشاعر مواطنيها ، ولهذا اندفعت عن طريق صحافتها وكتابها الى مهاجمة « الكتاب الأزرق » وإظهار ما فيه من نقص كبير فى الجهود وخطأ فى الحقائق التى تعهدت ايطاليا بكشفها للعيان عندما يتم لها الاستيلاء على البلاد ·

أما صدى هذا الكتاب فى الاوساط العربية فلم أجد له أثرا فى الصحف والمجلات والمؤلفات العربية . وهذه الدراسة فيما أعلم أول مجهود يبذل بالعربية · وأملى أن يكون لهذه الباكورة أثرها ، وعلى الذين يجدون نقصا أو خطأ أن يقوموا باكماله وتصحيحه حتى تتظافر الجهود فى سبيل الوصول الى الحقيقة واكتشاف أبعادها وما يترتب عليها من احكام واجراءات ·

---

(52) Ernest N. Bennett. **With The Turks In Tripoli**. London : Methuen And Co. Ltd. 1912.

الفكرة من جديد

رأينا في الصفحات السابقة كيف جاءت فكرة إنشاء الوطن القومي لليهود في ليبيا ، وكيف تطورت هذه الفكرة حتى أصبحت مشروعا في بداية القرن العشرين ، وكيف انتهت بعدول « منظمة الأراضي اليهودية » عن تحقيقها في ليبيا وإن بقيت بذورها تختمر في أدمغة بعض رجالها فيما بعد (1) ٠

لقد قدر للبلاد أن تنجو من الخطر الصهيوني في أواخر 1908 واهلها لا يعرفون ما كان يدبر لهم في الخفاء بمساعدة بعض اصدقائهم من رجال الدولة العثمانية ٠ وما كان أولئك الاصدقاء يقدرون تماما خطورة ما كانوا مندفعين فيه بحماس وهم في دوامة الصراع مع الاطماع الدولية على أمل إنقاذها من الخطر الايطالي الذى كان يهدد البلاد ويتحين الفرصة للانقضاض عليها . وكان لايطاليا ما ارادت في خريف 1911 عندما بدأت غزوها للبلاد بطول ساحلها البحرى وإن كان العدوان الايطالي قد قابله أهل البلاد بمقاومة عنيفة جعلت الغزو الايطالي عملية شاقة لم تنته الا في 1931 . وهكذا تحققت نبوءة البعثة اليهودية عندما تنبأت بمقاومة الاهالي لاى احتلال أجنبي للبلاد (2) ٠ وقد رأى أعضاء البعثة انتشار الروح العسكرية بين أهالي الجبل الاخضر وانتشار الاسلحة بينهم بشكل ملحوظ ، حتى أنها كانت تجارة رائجة يقوم بها بعض اليونانيين (3) الذين كانوا يقومون بتهريبها الى البلاد في مقابل أرباح مجزية ٠

واذا كان الاحتلال الايطالي للبلاد قد قضى على مشروع انشاء الوطن اليهودى في ليبيا إلا أنه أعطى يهود ليبيا واليهود الايطاليين

---

(1) D.G.H. Op. cit.

(2) الكتاب الازرق ص 11

(3) الكتاب الازرق ص 38

الكثير من الرعاية والافضلية على سكان البلاد الاصليين . وعرف يهود ليبيا بطرقهم الخاصة كيف يصلون الى تحقيق اطماعهم الاقتصادية والاجتماعية . ويروى بعض الليبيين الذين عاصروا فترة الاحتلال الايطالى للبلاد الكثير من تصرفات اليهود الذين وجدوا فى الحكم الايطالى حماية لهم حتى اذا كانت السنوات الاخيرة من الثلاثينات بدأ يهود البلاد يتعرضون للمضايقات الايطالية ، وقد أخذت السياسة الفاشستية تراجع موقفها من اليهود تمشيا مع الموقف الذى اتخذته المانيا النازية مع اليهود وقد أصبحت المانيا وايطاليا حليفتين تستعدان للحرب العالمية الثانية .

وبقيام الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر 1939 واشتراك ايطاليا فيها في 1940 زاد موقف اليهود صعوبة ولم تصبح لهم تلك الافضلية التي تعودوا عليها ونشأوا فى رحابها . وبانتصار الحلفاء فرح يهود العالم بهذه النتيجة التي عملوا لها وساعدوا على تحقيقها بطرقهم المختلفة . وكان لا بد أن تعم هذه الافراح الاوساط اليهودية في ليبيا التى بدأ مصيرها فى الميزان ، وقد تقاسمتها الادارة البريطانية والادارة الفرنسية بل حتى الادارة البريطانية نفسها انقسمت الى ادارة بريطانية لبرقة واخرى لطرابلس في الوقت الذى كانت فيه الادارة الفرنسية فى فزان ، وقد انسحبت فرنسا من الكفرة بعد أن احتلتها قواتها القادمة من تشاد جنوبا اثناء العمليات الحربية التى أدت فى النهاية الى خروج ايطاليا من ليبيا أمام قوات الحلفاء . وما زلت أذكر حالة القلق التى كانت تسيطر على أهل البلاد فى أواخر الاربعينات وقد بدا لهم مستقبل البلاد مظلما وإن لم يفقدوا الامل فى مستقبلهم بسبب ما كان بين دول الحلفاء من اختلاف وانقسام بخصوص تقرير مصير المستعمرات السابقة لايطاليا والتى تنازلت عنها فى 10 فبراير 1947 . وكان هذا الخلاف أشد ما يكون بالنسبة لليبيا بسبب موقعها الجغرافى وأهميتها الاستراتيجية . وعقدت عدة مؤتمرات دولية للبحث فى مصير المستعمرات الايطالية . وفشل وزراء خارجية الحلفاء في الوصول الى حل لها لتضارب المصالح الدولية .

وتشعبت الآراء بخصوص تقرير مصير المستعمرات الايطالية لتباين مطامع الدول المختلفة ورغبة كل منها في المحافظة على اسلابها وتنميتها وتوسيع مناطق نفوذها . وفي هذا الوقت دخلت القضية الفلسطينية دور الصراع العنيف بين أهلها الذين أرادو المحافظة على بلادهم فاندفعوا يستميتون في الدفاع عنها أمام سيل المهاجرين اليهود الذين أخذوا يغزون البلاد تحت حماية منظماتهم العسكرية وتشجيع حكومة الانتداب البريطاني لهم . وقد أخذت الولايات المتحدة الامريكية تتدخل في سياسة الشرق الاوسط بعد أن أخرجها اشتراكها في الحرب العالمية الثانية من عزلتها التي مكنتها من متابعة الاحداث عن قرب دون الاشتراك المباشر فيها ، ولكن أوضاعها تغيرت تماما بعد الحرب العالمية الثانية ، وأصبح لها دور هام فيما يجري في المنطقة من احداث وخاصة في فلسطين ، وفي الولايات المتحدة الامريكية جالية يهودية كبيرة لها وزنها في تقرير مصير السياسة الامريكية سواء أكانت داخلية أم خارجية .

في وسط هذه الاحداث العالمية والصراع الذي ظهر حول تقرير مصير ليبيا ، والوضع المتدهور في فلسطين وجدت فكرة إنشاء الوطن القومي لليهود في ليبيا فرصتها للظهور مرة أخرى . وكما جاءت الفكرة أولا من جانب بريطانيا عندما اقترحها السير هاري جوهنستون اليهودي على « منظمة الاراضي اليهودية » في لندن فان الفكرة جاءت هذه المرة ايضا من مسؤول بريطاني كبير له خطورته في تقرير الاحداث العالمية بالنسبة لخطورة منصبه ، وما كان يتمتع به من مكانة دولية . جاءت هذه الفكرة من المستر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا دون علم أهل ليبيا أو أخذ رأيهم كما حدث تماما في المرة الاولى في أواخر العهد العثماني الثاني . والغريب أن هذه الفكرة في كلتا المرتين قد جاءت ممن كانوا يدعون الصداقة لليبيا وأهلها . وهذا ما كانت تدعيه بريطانيا على الأقل عندما دخل جنودها البلاد لتحريرها من الايطاليين الفاشست . وقد أقبل الاهالي على مساعدة الجيش الثامن وتقديم المساعدات الممكنة بعد أن كون الليبيون في المهجر جيشا

Churchill's 'home' for Jews

WASHINGTON, May 6

MR. CHURCHILL (as he then was) told Stalin at the Potsdam Conference that he had considered settling displaced Jews in the former Italian colonies, but prominent Jews he had consulted were not interested.

This was disclosed to-day with the publication of United States diplomatic papers relating to the conference and a talk Stalin had in Moscow with the American envoys, Mr. Harry Hopkins and Mr. Averell Harriman.

Stalin had asked for consideration of the establishment of a trusteeship system for the territories, with either Soviet-American-British administration or administration by individual States.

Mr. Churchill added: "At present we hold these colonies—who wants them?" He said Britain did not seek territorial aggrandisement—"We have no Koenigsberg, no Baltic States." President Truman remarked that the United States did not want the colonies.

Backed Chiang

Mr. Charles Yost, of the American delegation, said in a memorandum that the Russians insisted the matter be discussed by the Council of Foreign Ministers, and that Mr. Churchill made it clear he would not be inclined to support extension of Soviet influence in Africa and the Mediterranean through Soviet participation in trusteeship.

The documents also reveal that Stalin thought at the end of the war that Generalissimo Chiang Kai-shek would be a better leader for China than the Communists, and was unconvinced that Hitler, Goebbels and Martin Bormann were really dead.

He told Mr. Hopkins he thought Chiang the best available leader in China. "He said he saw no other possible leader and that, for example, he did not believe the Chinese Communist leaders were as good or would be able to bring about the unification of China."

Of the Nazi leaders, he said Soviet doctors thought they had identified Goebbels's body, but personally he doubted if Goebbels were dead. "He said he thought that Bormann, Goebbels, Hitler and probably Krebs (General Hans Krebs) had escaped and were in hiding."

Demand on Poland

The Soviet leader said large German submarines had "with the connivance of Switzerland" been going back and forth between Germany and Japan taking gold and negotiable assets to Japan. He had ordered his intelligence to look into the matter, but so far they had failed to discover any trace and therefore he thought it was possible that Hitler and company had gone in them to Japan.

Stalin also insisted that any Polish Government should be friendly towards Moscow and he wanted the Poles to continue to hold the part of Germany they were administering, declaring in reply to questions that the nine million Germans formerly there "have fled."

He apparently believed Mr Churchill would win the election which came in the middle of the conference, and remarked: "Judging from the expression on Mr. Attlee's face I do not think he looks forward avidly to taking over your authority. We have tackled the problems of the war successfully. We should be able to tackle the problems of peace as well."

President Truman and Stalin decided at a private meeting to put off Japanese efforts to end the war two days after the first atom bomb test at Alamogordo and three weeks before a bomb was dropped on Hiroshima. The meeting, which was described in a transcript made by Mr Charles Bohlen, State Department Soviet Affairs Expert, took place at Stalin's lakeside villa at Babelsberg on July 18, 1945.

The Russians, not then at war with Japan, had received a message from the Japanese Emperor, who wanted to send a mission to Moscow. Stalin asked the President "whether it was worthwhile to answer this communication." The President replied that he had no respect for the good faith of the Japanese.

Mediation plea

Stalin pointed out that it might be desirable to lull the Japanese and possibly a general and unspecific answer might be returned, pointing out that the exact character of the proposed mission was not clear. The President said he thought this would be satisfactory.

Next day the Russians told the Japanese their message contained no specific proposal and accordingly could be given no definite reply.

On July 28, Stalin told his colleagues at a plenary meeting of the Potsdam Conference that the Japanese Government had informed the Soviet Union that the purpose of the mission would be to ask the Soviet Government to take part in mediation to end the war. Stalin said the answer would be in the negative. "The President thanked Marshal Stalin," the document added.—Reuter

الخبر الذى نشرته صحيفة « الابزرفر » البريطانية بخصوص انشاء الوطن القومي لليهود في احدى المستعمرات الايطالية .

للاسهام في الحرب مع القوات البريطانية ضد العدو الايطالى المشترك .

نشرت صحيفة « الاوبزفر » البطريطانية OBSERVER فى عددها الصادر يوم الاحد 7 مايو 1961 وفى الصفحة الحادية عشرة خبرا صحفيا تحت عنوان « وطن تشرشل لليهود » ، قالت الصحيفة فى هذا الخبر الذى نشرته : أن المستر تشرشل كما كان يعرف فى ذلك الوقت قد أخبر ستالين فى « مؤتمر بوتسدام » POTSDAM CONFERENCE أنه فكر فى توطين اليهود المطرودين فى المستعمرات الايطالية السابقة ، ولكن قادة اليهود الذين استشارهم فى الموضوع لم يبدوا اهتمامهم . وقالت الصحيفة ان مطبوعات الولايات المتحدة الامريكية لاوراقها الديبلوماسية التى لها علاقة بالمؤتمر وحديث ستالين مع المندوبين الامريكيين فى موسكو وهما المستر هارى هوبكنز HARRY HOPKINS والمستر افريل هاريمان AVERELL HARRIMAN قد كشفت عن هذا الخبر .

وتستمر الصحيفة بعد ذلك فى ذكر بقية ما دار من حديث بين تشرشل وستالين بخصوص تقرير المستعمرات الايطالية السابقة .

وبالرجوع الى تلك المطبوعات التى أشارت اليها الصحيفة والى محضر اللقاء السادس (4) فى مؤتمر بوتسدام الذى تم فى الساعة الخامسة من مساء يوم الاحد 22 يوليو 1945 ، والتى حضرها عن الولايات المتحدة الامريكية الرئيس ترومان TRUMAN ووزير خارجيته المستر بيرنز BYRNES وبقية اعضاء الوفد الامريكى والمستر تشرشل CHURCHILL رئيس وزراء بريطانيا ومعه المستر ايدن EDEN وبقية اعضاء الوفد البريطانى والماريشال ستالين STALIN ووزير خارجيته المستر مولوتوف MOLOTOV وبقية اعضاء الوفد الروسى نجد المجتمعين ناقشوا موضوع المستعمرات الايطالية السابقة وتقرير مصيرها . وأثار المستر تشرشل فى هذه الجلسة موضوع امكانية الاستفادة من احدى المستعمرات الايطالية السابقة

---

(4) Foreign Relations of The United States. Diplomatic Papers. **The Conference of Berlin (The Potsdam Conference) 1945.** Washington : United States Government **Printing Office 1960.** Vol. II, P. 244.

كوطن لليهود ، ولكن المحضر المنشور لم يشر الى مستعمرة معينة بالذات لاختيارها وطنا لليهود . ولم يأت ذكر « ليبيا » صراحة في هذا الاختيار وان كانت السوابق التاريخية تجعل من المرجح أن اتجاه المستر تشرشل كان منصرفا لاختيار ليبيا لهذا الغرض . وهكذا كان من المحتمل احياء فكرة الوطن القومي لليهود في ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية ، ولكن الحركة الصهيونية كانت قد قطعت اشواطا بعيدة في تحقيق اهدافها في فلسطين إثر الحصول على وعد بلفور الذي اتخذ اليهود منه اساسا لتحقيق أهدافهم في فلسطين باعلان قيام دولة اسرائيل في 15 مايو سنة 1948 .

أخيرا بقي أن أقول إن الخطر الصهيوني على ليبيا لم ينته بعد ، فالاطماع الصهيونية فيها ظلت قائمة وإن اتخذت شكلا آخر ، والمطلع على أوراق الطائفة اليهودية في مدينة طرابلس يجد الكثير من الوثائق التي كانت تربط الجالية اليهودية في طرابلس باسرائيل وكيف كانت الطائفة اليهودية تتلقى التعليمات من اسرائيل باشتراك الشخصيات الليبية في نشاط رجال الاعمال من اليهود لضمان سلامة نشاطهم وتحقيق الارباح المطلوبة ، وسيأتي اليوم الذي تكشف فيه هذه الوثائق لتكون محلا للدراسة والفحص .

أما آخر عبارة جاءت في « الكتاب الأزرق » لمنظمة الاراضي اليهودية والتي كتبها الدكتور ناحوم شلوش عندما قال : « إن البلاد ما زالت تنتظر سكانها الاصليين اليهود الابطال » (5) ، فانها تحمل معاني كثيرة وخطيرة ، وعلينا أن نعيها تماما ، وعلى أبناء الأمة العربية أن ينتبهوا لها ، وعلى أبناء ليبيا بالذات أن يحتاطوا لها بالعمل الجدي وتجنب الخلافات والمزالق التي تعرضهم للضعف وسهولة الابتلاع ، فالاوضاع السياسية والمصالح الدولية عرضة للتغير من وقت لآخر وما يصعب تحقيقه الآن قد يسهل تنفيذه في وقت آخر والعكس صحيح . فعلى أبناء ليبيا أن يعوا هذا القول جيدا وأن يأخذوا الامور بجديتها حتى لا تكون البلاد فريسة لاطماع الصهاينة التي لا تعرف حدودا أو قيودا .

---

(5) الكتاب الازرق . ص 52 .

مصادر الكتاب

المصادر العربية :

أولا : ــ **الكتب**

1 ــ ابن الخوجة محمد الحبيب : **يهود المغرب العربي** ، القاهرة ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، 1973 ، 211 ص .

2 ــ أبويصير صالح مسعود : **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن** ، بيروت ، دار الفتح للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة ، 1389 هـ ــ 1970 م ، 8 + 617 ص .

3 ــ الدجاني أحمد صدقي : **ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي أو طرابلس الغرب في آخر العهد العثماني الثاني 1882 ــ 1911** ، القاهرة المطبعة الفنية الحديثة ، 20 شارع الأصبغ بالزيتون (بدون تاريخ) ، 463 ص .

4 ــ عبد العليم مصطفى كمال : **دراسات في تاريخ ليبيا** ، بنغازي ، المطبعة الاهلية ، يناير 1966 ، منشورات الجامعة الليبية ، 217 ص .

5 ــ عبد العليم مصطفى كمال : **اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان** ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، 1968 ، 8 + 382 ص .

6 ــ الفيتوري أحمد سعيد : **دليل الوثائق المصنفة** ، طرابلس ، دار المحفوظات التاريخية ، (1392 هـ ــ 1972 م) ، بالآلة الكاتبة ، ج 1 ، 92 ص .

7 ــ كورو فرانشسكو : **ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني** ، تعريب وتقديم الاستاذ خليفة محمد التليسي ، طرابلس ، دار الفرجاني ، (بدون تاريخ) ، 188 ص .

ثانيا : ــ **الصحــف**

1 ــ **طرابلس الغرب** : عدد 282 ، 26 سبتمبر سنة 1963 .

2 ــ **طرابلس الغرب** : عدد 352 ، 19 ديسمبر سنة 1963 .

3 ــ **الطليعة** : ص 3 ، 18 نوفمبر 1969 .

المصــادر الاجنبيــة :

أولا : ــ **الكتــب**

1 — ALBRECHT - Carrié René ; A DIPLOMATIC HISTORY OF EUROPE SINCE THE GONGRESS OF VIENNA. New York Harper And Brothers 1958. XVi, 736 pp.

2 — BENNETT Ernest N. ; WITH THE TURKS IN TRIPOLI. London : Methuen And Co., Ltd. 26, Essex Street W.C. 1912. vi + 319 + 31 pp.

3 — BENTON William, CRETE, ENCYCLOPEDIA BRITANNICA, 1936. Vol. 6, pp. 731 - 41.

4 — CACHIA Anthony J ; LYBIA UNDER THE SECOND OTTOMAN OCCUPATION 1835-1911. Tripoli 1945, 197 pp.

5 — CARY M. ; A HISTORY OF ROME DOWN TO THE REIGN OF CONSTANTINE ; London, Macmillan And Co Ltd. 1954, xvi, 820 pp.

6 — CHOURAQUI André ; MARCHE VERS L'OCCIDENT. LES JUIFS D'AFRIQUE DU NORD; Paris : Presses Universitaires de France, 108, Boulevard Saint-Germain 1952. 398 pp.

7 — COHEN M. ; GLI EBREI IN LIBIA USIE COSTUMI ; Tradotto E Annotato Da Martino Mario Moreno. Rome 1927. 190 pp.

8 — FALLS J. C. Ewald ; THREE YEARS IN THE LIBYAN DESERT ; Translated By Elizabeth Lee. London : T. Fisher Unwin, Adelphi Terrace. xii, 356 pp.

9 — Foreign Relations of the United States Diplomatic Papers : THE CONFERENCE OF BERLIN. (The Potsdam), Washington ; United States Gouvernment Printing Office 1960. 2 Vol.

10 — GOLDBERG Harvey E. ; CAVE DWELLERS AND CITRUS GROWERS. Cambridge ; the University Press 1972, xv, 208 pp.

11 — GOOCH G. P. and TEMPERLEY Harold, ed., BRITISH DOCUMENTS ON THE ORIGINS OF THE WAR 1898-1914, Vol. IX, THE BALKAN WARS, Part I, THE PRELUDE ; THE TRIPOLI WAR. London : His Majesty's Stationery Office ; 1933, Lxxvi + 873 pp.

12 — JOHNSTON Harry H ; THE STORY OF MY LIFE, Indianapolis ; the Bobbs - Merrvill Company. 504 pp.

13 — LAPWORTH Charles; TRIPOLI AND YOUNG, ITALY, London : Stephen Swift And Co, Limited. 16 King Street, Covent Garden 1912, 347 pp.

14 — MCCULLAGH Francis, ITALY'S WAR FOR A DESERT. London : Herbert And Daniel. 95, New Bond Street 1912. xxxvi, 410 pp.

15 — NARRATIVE OF A TEN YEARS RESIDENCE AT TRIPOLI IN AFRICA. London 1817. xiii, 376 pp.

16 — REPORT ON THE WORK OF THE COMMISSION SENT OUT BY THE JEWISH ORGANIZATION UNDER THE AUSPICES OF THE GOVERNOR-GENERAL OF TRIPOLI TO EXAMINE THE TERRITORY PROPOSED FOR THE PURPOSE OF A JEWISH SETTLEMENT IN CYRENAICA, London : J.T.O. Offices, Kings Chambers, Portugal Street, Jan. 1909, xiii 52 pp.

17 — SLOUSCHZ Nahum, TRAVELS IN NORTH AFRICA, Philadelphia ; The Jewish Publication Society of America : 1927., X, 488 pp.

18 — SMITH R. MURDOCH AND PORCHER E.A., HISTORY OF THE RECENT DISCOVERIES AT CYRENE, London : 6 gate Street, Lincoln's Inn Fields 1864. xvi, 117 pp. + 86 plates.

19 — THE MIDDLE EAST, A POLITICAL AND ECONOMIC SURVEY, London and New York : Royal Institute of International Affairs 1955, xviii, 590 pp.

20 — WACE Alan, HANDBOOK ON CYRENAICA, Part III, The Classical Period (without place and date), 18 pp.

21 — WELCH Galbraith, NORTH AFRICAN PRELUDE, New York ; Willam Morrow And Company : 1949. xiv, 650 pp.

ثانيا : ـ المجلات والصحف

1 — ADAMS Harriet Chalmers, Cirenaica, EASTERN WING OF ITALIAN LIBIA ; The National Geographic Magazine, June 1930, Washington : The National Geographic Society. 689 - 726 pp.

2 — CHURCHILL'S «HOME» FOR JEWS. The Observer Sunday, May 7, 1961. p. 11.

3 — DE AGOSTINI E. RAPORTO SUI LAVORI DELLA COMMISSIONE INVIATE DELLA JEWISH TERRITORIAL ORGANIZATION SOTTO GLI AUSPICI DEL GENERALE GOVERNATORE DI TRIPOLI PER ESAMINARE IL TERRITORIO EBRAICA IN CIRENAICA. NOTIZARIO ECONOMIC DELLE CIRENAICA ; Bengasi, Unione Tipografico - Editrice. 1929.

4 — GREGORY J.W., IS THE EARTH DRYING UP ? The Geographical Journal. London : the Royal geographical Society. February 1914 pp. 768 - 781.

5 — GREGORY J.W., THE RESOURCES OF TRIPOLI. The Contemporary Review. London, July - December 1911; pp. 768 - 81.

6 — H.D.G., CYRENAICA. The Geographical Journal. London : The Royal Geographical Socitey ; July to December 1909 ; pp. 444 - 445.

7 — S.N., LES CRÉTOIS EN CYRÉNAIQUE; Revue Du Monde Musulman. Paris : 28, Rue Bonaparte (VIe), Septembre 1908. pp. 151 - 153.

8 — VISCHER Adolf, TRIPOLI : The Geographical Journal. London : Royal Geographical Society. November 1911. pp. 487 - 494.

تم طبع هذا الكتاب في صفر 1395/مارس 1975
بمطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم
تـونس

عدد الناشر : 75 ـ 2 ـ 100

من كان يعلم أن الحركة الصهيونية قد حاولت أن تتخذ من برقـة ومن الجبل الأخضـر بالذات مشروعا للوطن القومى لليهود فى أوائـل هذا القرن ثم عادت من جديد وفكرت فى الأمر اثـر الحرب العالمية الثانية وكانت تنوى هذه المرة مد يدها على ليبيا بأجمعها ٠

فى هذا الكتـاب يكشـف الاستـاذ مصطفى عبد الله بعيّو الذى يعرف جمهور المثقفين أبحاثه العديدة فى التاريخ الليبى عن هذه الحقيقة التى حرصت الحركة الصهيونية على اخفائهـا ويلقى عليها من الأضواء ما يجعل الجميع على بينـة مما كان يخطط لليبيـا ٠

وقد زود الأستـاذ بعيّـو بحثـه النظرى هذا بالوثـائق المدعمة حرصا منه على أن تكون هذه الوثائق منطلقا لجهود الآخرين فى سبيل خـدمة الحقيقة التاريخية ٠

المقر الرئيسى : عمـارة « وفـاء » شارع غومة المحمودى ص. ب. 185. 3 ، طرابلس ، الجمهورية العربية الليبية . الفرع الرئيسى : 39 شارع الحبيب بورقيبة ، تونس العاصمة ، الجمهورية التونسية .